الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

الموضوع:

النثر الزياني أصوله وأغراضه

إعداد الطالب (ة):
-بزغود حليمة

إشراف:
-أ.د. سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	محمد مرتاض (أ.ت.ع)	رئيسا
أ.الدكتور	وردة محصر (أ.محاضرة)	ممتحنا
أ.الدكتور	سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي (أ)	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1438-1439/2016-2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

الموضوع:

النثر الزياني أصوله وأغراضه

إعداد الطالب (ة):
-بزغود حليمة

إشراف:
-أ.د. سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	محمد مرتاض (أ.ت.ع)	رئيسا
أ.الدكتور	وردة محصر (أ.محاضرة)	ممتحنا
أ.الدكتور	سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي (أ)	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1438-1439/2016-2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شکر و تقدیر

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ،

أتقدم بأسمى عبارات الشكر الجزيل والاحترام والتقدير، إلى الذي لم يبخل بجهده المخلص وخدماته الجليلة، إلى الذي غمرني بالفضل واختصني بالنصح، ولم يبخل عليّ بوقته، وتفضل عليّ بقبوله الإشراف على هذا البحث إلى الأستاذ الدكتور سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي وفقه الله إلى ما يحبّه ويرضاه وأبقاه ذخراً لطلبة العلم وجعل ذلك في ميزان حسناته .

أشكر أعضاء لجنة المناقشة على كرمهم عليّ ببعض من وقتهم الثمين لمناقشة هذا البحث وتوضيح الصواب لي، وجعله أفضل بتوجيهاتهم الجليلة .وأشكر جميع الهيئة التدريسية بجامعة أبو بكر بلقايد الذين بذلوا جهدهم في سبيل تنوير الطريق لنا فلهم منا كل الاحترام والشكر والتقدير .

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك ،ولاتطيب اللحظات إلا بذكرك،ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ،ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك..."الله جل جلاله"

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ،إلى الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبي الرحمة ونور العالمين..."سيدنا محمد صلى االله عليه وسلم"

إلى اللذين خصّهما الرّحمن بالذّكر في محكم تنزيله الكريم وقال في حقّهما : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (24)﴾ إلى الوالدين العزيزين رزقهما الله الصحة والعافية وطول العمر .

إلى من رافقتاني في الدرب طيلة حياتي شقيقتي نورية وأمينة .

إلى سندي في الحياة أخي محمد .

إلى من كانتا دعما لي وعونا في مواقف كثيرة سمية وحسينة .

إلى زملائي في الدراسة وإلى أساتذة الكرام .

إلى من معهم سعدت ،إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير ،إلى من تحلو بالإخاء ، إلى الإخوة و الأخوات ،يسرى وسارة ونورية ومحمد وعبد المجيد .

إليكم جميعا ،أهدي ثمرة جهدي المتواضع ،راجية من المولى تعالى أن ينتفع به كل من يطّلع عليه .

المختصرات

(ت) :توفي .

(ج) :الجزء .

(مج) :المجلد .

(ص) :الصفحة .

(ط) :الطبعة .

(م.ن) :المصدر نفسه أو المرجع نفسه .

مقدمة

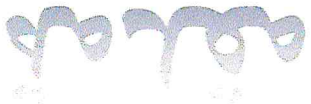

يعتبر العهد الزياني العصر الذهبي للمغرب الأوسط نتيجة للإزدهار الذي عرفته البلاد والعز الذي بلغته من تطور للعلوم ونشاط الحركة الفكرية .حكم الزيانيين في الفترة الممتدّة من 633هـ إلى غاية 962هـ فشهد المغرب الأوسط نهضة أدبية في جميع حواضره ومدينة تلمسان خاصة التي كانت محطة للعلم والعلماء ومقصدا للطلبة من كلّ الأقطار ولاسيما من الأندلس ،فنشأ أدب ممزوج بطابع المغرب وطابع الأندلس وتطوّر وازدهر بصنفيه من شعر ونثر بفضل الحكّام الزيانيين الذين فتحوا أبواب قصورهم للحركة الأدبية فهيّئوا لها البيئة المناسبة.

وفي هذا البحث تطرّقت لدرست جانب من جوانب الأدب في العهد الزياني وهو جانب النثر،وكان البحث موسوما بـ "النثر في العهد الزياني أصوله وأغراضه" الذي تكمن أهمّيته في كونه يزيل الغموض عن أحد جوانب العصر الذهبي الذي اندثرت أغلب المعلومات عنه، فما وصلنا عنه عظيم لكن المغموض منه أعظم .

ومن الأسباب التي دفعت بي لاختيار هذا الموضوع كون تلمسان في العهد الزياني عاشت فترة ازدهار في مجال الأدب ولكن قلّ من اهتم به حيث إنّ الدراسات للعصر لم تكن بالقدر الكافي الذي يستحقه وخاصة المجال الأدبي .ومن الذين كان لهم السّبق في دراسة الأدب الزياني الأستاذ الدكتور سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي الذي تناول في أطروحة الدكتوراه موضوع النزعة الأخلاقية في الشعر الزياني ونورية بن عدي التي تناولت موضوع الأدب في العصر الزياني (749هـ-952هـ) .

ولدراست الأدب الزياني اعتمدت على مؤلّفات أبرزها تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي الجزء الاوّل وإرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر لمحمد رمضان شاوش والغوثي بن حمدان الجزء

الأوّل والثّاني وابن خميس شعره ونثره لطاهر توات و بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون .

أمّا الصعوبات التي واجهتها في بحثي هي قلّة المادة الأدبية وذلك راجع لضياع أغلبها وإن وجدت تعذّر الوصول إليها .

وفي بحثي اعتمدت المنهج التكاملي الجامِع بين التاريخي القائم على جمع المواد التاريخية لخدمة الموضوع والوصفي في وصف حالة الأدب في العصر الزياني والفني الجمالي اعتمدته في دراسة بعض النماذج النثرية .

وقد اشتمل البحث على خطة مكوّنة من مقدمة ومدخل وفصلين ،ففي المدخل تناولت الحديث عن سبب ضعف الموحدين والذي بدوره كان سببا في قيام الدولة الزيانية ،والتي سارت على خطى الموحدين في المجال العلمي وأنّ الزيانيين نهضوا بالحركة الفكرية والثقافية وذلك للإهتمام البليغ من الحكام بالعلم ،فأنشأوا المدارس والمساجد والمكتبات .وكيف أنّ النّهضة الثقافية أثّرت في مدينة تلمسان وجعلت منها منارة للعلم .

أمّا الفصل الأوّل فكان عنوانه "أصول النثر في العهد الزياني وأعلامه" وضمّنته مبحثين ؛ فالمبحث الأوّل خصّصته للبيئة الأدبية للنثر وعن ازدهار الحياة الأدبية في عصر الزيانيين وعن حالة النثر في المشرق والأندلس والمغرب وعن تأثّر الكتّاب المغاربة بإخوانهم الأندلسيين والمشرقيين ،أمّا عن المبحث الثّاني ؛فقد تناولت فيه أعلام النثر وما خلّفوه من مؤلّفات في مجالات عدّة .

بينما الفصل الثّاني الذي غنونته بـ "أغراض النثر وجمالياته في العهد الزياني" ؛فضمّنته هو الآخر مبحثين ،فأمّا المبحث الأوّل فخصّصته للأغراض النثرية التي شاعت في ذلك العصر ،من مراسلات بتعدّد أغراضها من شوق وحنين وتعزية وغيرها ، وكذلك الخطب والتّآليف .أمّا المبحث الثّاني فذكرت

فيه الجانب الجمالي للنثر واتخذت بعض النماذج النثرية محاولتة إظهار المحسنات البديعية التي استعملها كتّاب العهد الزياني .ثمّ أخيرا الخاتمة والتي تضمّنت أهم النتائج المتوصّل إليها في هذا البحث .

فما فاتتحت به بحثي هو الإجابة عن السؤالين التاليين ؛ما هو سبب ضعف الموحدين ؟وما مدى تأثر الزيانيين بأدبهم ؟

تلمسان في :2017

بزغود حليمة

المدخل :

النثر قبل العهد الزياني

استطاع الموحدون أن يضعوا بصمتهم في المجال العلمي والفكري في المغرب الأوسط ،حيث اهتموا بجميع العلوم التي انتشرت آنذاك من علوم نقلية وعلوم عقلية ،وفضلهم كان عظيما في تشجيع العلوم التي لم تكن رائجة في عهد المرابطين ،وبرز علماء وأدباء وكتّاب كثر وذلك لتشجيع الحكّام الموحدين للعلم والعلماء وتقريبهم إليهم ،وهذا التشجيع أدّى إلى تحرير الأفكار ونشاطها وهذا دافع كبير لتنشيط الحركة العلمية والفكرية والثقافية فأسسوا المدارس وعمّروا المعاهد وبنوا المساجد والكتاتيب لتدريس هذه العلوم وجلبوا كبار العلماء ،واقترحوا تدوين الكتب وعقدوا المناظرات وأسسوا خزائن الكتب ، فكان المغرب الأوسط حاضرة علمية لما كان فيه من المراكز الثقافية كتلمسان وبجاية وفاس والتي أصبح الطلبة والعلماء يتوافدون عليها .

فالدولة الموحدية كانت بمثابة عصر للنضج الثقافي في المغرب الأوسط ،وشهد هذا العهد نهضة أدبية وعلمية وثقافية ،والأدب المغربي في هذه الحقبة أخذ عن الأدب المرابطي والأندلسي وتأثر بهما ، لكنه حافظ على طبعه الخاص الذي كان متميزا عن سواه فالنثر في هذه الفترة ازدهرت فيه الكتابة والخطابة وغيرهما .فالكتابة تنوعت بين ديوانية واجتماعية وسياسية وأدبية وإخوانية وتوقيعات وكانت رسائلهم تميل إلى الإطناب والتوسع ،وذات أسلوب جزل مزخرف بالسجع في الغالب .وعصر الزيايين كان بمثابة عصر اكتمال لما سبقه فقد نبغ فيه عدد كبير من الفقهاء والعلماء والأدباء والكتّاب والشعراء وهذا راجع للاحتكاك العلمي الذي وقع بين أدباء الجزائر وغيرهم من المهاجرين الأندلسيين الذين استوطنوا تلمسان وبجاية .

وعهد الزيانيين في واقع الأمر ما هو إلاّ امتداد لعهد الموحدين خاصة في الميدان الفكري والأدبي حيث سار الزيانيون على نهج الموحدين في تشجيع العلم والعلماء وتحفيز الأدباء والكتّاب على التأليف والكتابة ،فملوك الدولة الزيانية أبدوا عنايتهم بالعلماء وتنافسوا مع غيرهم من ملوك المغرب الإسلامي في مجال العلوم والآداب وتقريب العلماء إلى مجالسهم ،فقد كان السلطان يغمراسن بن

زيان* هو ومن خلفه من الحكام الزيانيين يرون أنّ لجوء العلماء إلى دولتهم وتوافدهم عليها وجعلها قبلة لهم لطلب العلم ما هو إلاّ شرف لهم وإثراء لثروتها العلمية وسمعتها الأدبية في المغرب الإسلامي بل العالم الإسلامي عامة ،كما أنّ هؤلاء الحكام شجّعوا العلماء على الإجتهاد في الدّرس وإحياء الأفكار وتنشيط الحياة الفكرية على طريقة أسلافهم الموحدين .

كما أولوا اهتمامهم البليغ بالحياة الثقافية وعملوا على بناء المدارس وأحضروا إليها كبار العلماء للتدريس بها وأنفقوا على طلبتها .والسلطان يغمراسن بن زيان هو أبرز مثال على ذلك ،حيث كانت له رغبة جامحة في أهل العلم واستقدامهم إلى تلمسان ومقابلتهم بما هم أهله ،ومثال ذلك أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التّنَسي (ت680هـ)* ،لما علم بقدومه إلى تلمسان خرج إليه بنفسه ،وقال له: (ما جئتك إلاّ راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج)[1] .ونفس الشيء مع العلماء الوافدين إليه وخاصة الأندلسيين ومنهم أبو بكر خطاب المرسي (ت636هـ) الذي كان من أبرع الكتّاب خطا وأدبا وشعرا ،فعينه يغمراسن كاتبا في بَلاطه ،والسلطان أبو حمّو موسى الأوّل(ت718هـ)* هو الآخر كان شديد الاهتمام بالحياة الثقافية واجتهد في استقطاب العلماء إلى تلمسان حيث احتفل بابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت743هـ) وشقيقه أبو موسى عيسى (ت749هـ) عند قدومهما إليه وبنى لهما مدرسة سماها باسمهما سنة(710هـ) ،ويليه في ذلك أيضا ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (ت737هـ)بنى مدرسة سميت

---

* – يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد ،ولد عام 603 هـ وتوفي 633 هـ و تولى حكم إقليم تلمسان في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون الذي كتب له بالعهد على ولاية المغرب الأوسط بعد وفاة أخيه أبو عزة زيدان بن زيان ،امتنع عن مبايعته بنو مطهر وبنو راشد، فحاربهم وقتل في إحدى المعارك، ليخلفه يغمراسن بن زيان الذي يعتبر المؤسّس الحقيقي للدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان.

* – من أكابر علماء المغرب الإسلامي أصله من تنس استوطن تلمسان ،ودرّس بها كانت تَرد عليه الأسئلة من مختلف الأقطار .

[1] – تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان – محمد بن عبد الله التنسي.ت:محمود آغا بوعيلد .موفم لنشر،الجزائر ،2011م ،ص :126.

* – هو السلطان أبو حمو بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان.وهو أول من أحدث في هذه الدولة مراسيم الملك ومصطلحات تنظيمات القصر وتشريفاته.

بـ"المدرسة التاشفينية" وولّى وظيفة التدريس بها للفقيه أبو موسى عمران المشدالي(ت745هـ)* لما ورد عليه .

بالإضافة إلى المدارس التي كان لها دور فعّال في النشاط الثقافي بالمغرب الأوسط وبمدينة تلمسان بخاصة ،اهتمّوا بإنشاء المساجد التي يتوقّف دورها عند الصلاة والعبادة بل لأصبحت مراكز للعلماء ومراد لطلبة العلم وتقام بها حلقات لتدريب الطلاب علمي القراءة والكتابة ،فالمسجد أيّام الزياسيين سار على منوال المساجد في العصر الإسلامي ،والمسجد الجامع يعدّ معهد التعليم العالي ومنزلته كانت بمنزلة القرويين بفاس والزيتونة بتونس والأزهر بالقاهرة ،بالإضافة لدّور الذي كان يلعبه المسجد، فهو أيضا بمثابة مركز ثقافي يجتمع فيه الملوك والعلماء ،ومجلس علمي تتاح المناظرات الفقهية والعلمية ومكان لانعقاد الإجتماعات العمومية كما كانت تقام به أمسيات شعرية،ومن تلك المساجد، مسجد سيدي أبي الحسن (ت706هـ)* الذي بناه أبو سعيد الأوّل سنة (696هـ) وحمل اسم أبي الحسن التّنَسي لأنّه كان يلقي دروسه به ومسجد ابنا الإمام الذي كان تابعا للمدرسة التي بناها أبو حمّو موسى ،أسس حوالي أربعة عشر سنة من بناء مسجد أبي الحسن .

كما اعتنوا أيضا بالمكتبات وملإها بالكتب من كل الأقطار والتي سخّرها الملوك للطلاب ، ومن أبرز المكتبات ،المكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمّو موسى الثّاني (ت760هـ)* بالمسجد

---

* – هو أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي ،أرسل إليه صاحب تلمسان أبو تاشفين الأول ،وقرّبه ،وأحسن إليه فدرّس بها الحديث والفقه والأصلين ،والفرائض والمنطق والجدل .توفي بتلمسان .

* – هو من كبار العلماء ،هو أخو أبو إسحاق بن يخلف ،خلف أخاه في التدريس في المدرسة اليعقوبية .

* – هو أبو موسى بن أبي يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن، المعروف بأبي حمو موسى الثاني، من ملوك بني زيان ،ولد بالأندلس سنة 723هـ .بفضل هذا الرجل ،استرجعت الدولة الزيانية مجدها واستقرارها ونظم أركان الدولة بفضل ثقافته وحنكته وشجاعته الواسعة ،وجعل من تلمسان مدينة الإشعاع العلمي والاقتصادي والحضاري حتى أصبحت أهم وأبرز حاضرة في بلاد المغرب الإسلامي .بعد أن اشتد الصراع بينه وبين حلفاء ابن تاشفين، عرفوا مقره وقتلوه سنة 791هـ.

الأعظم سنة (760هـ) والمكتبة التي أنشأها أبو زيّان محمد (ت801هـ)* وهي الأُخرى كانت بالمسجد الأعظم بتلمسان .

وعلى منوال الموحدين سار جلّ الحكّام الزيانيين ،أحبّوا العلم والعلماء واشتهروا باعتنائهم بمن يلجأ إليهم من أهل العلم وخاصّة الأندلسيين الذين كانت ظروفهم السياسية المزرية تدفعهم للانتقال من بلدهم وترك حياتهم وهذا ما جعل الحياة الثقافية في تلمسان تتأثّر بهم وبجميع مجالات حياتهم من فنون وأدب وعمران وغيرها .

ولاننسى أن نشير إلى أنّ أغلب السّلاطين والأمراء الزيانيين كانوا شعراء وأدباء وكتّاب ومفكّرين وهذا ما يفسّر سبب وُلوعهم بالأدب من نثر وشعر والثقافة بجميع مجالاتها ،كما حرصوا على عقد المجالس العلمية في قصورهم وبحضرتهم والسلطان عبد الرحمن أبي تاشفين الأوّل (ت737هـ) الذي حرس على هذه المجالس التي تدار فيها المناقسات والمناظرات بين كبار العلماء .

والسلطان أبو حمّو موسى الثّاني (ت791هـ) الذي كان عالما وناظما للشعر وناثرا ومفكّرا وأديبا ،والذي ألّف الكتاب الذي ارتبط ذكره باسم السلطان والذي أسماه"واسطة السّلوك في سياسة الملوك" وهو كتاب في سياسة الملوك ،والسلطان أبو زيان محمد (ت801هـ) وهو الآخر كان يُحيي المحاضرات والمناظرات قال فيه أبو عبد الله التّنَسي (ت866هـ) : (تصرف في شبيبته بين دراسة معارف وإفاضة عوارف ،وبين كلف بالعلم ،حتى صار منهج لسانه وروضة أجفانه ،فلم تخلو حضرته من مناظرة ولا عُمّرت إلاّ بمذاكرة ومحاضرة ،فلاحت للعلم في أيامه شموس ...).[1]

---

* – هو ابن أبي حمو موسى الثاني الزياني سلطان المغرب الأوسط ،السلطان أبو زيان من ملوك دولة بني عبد الواد الزيانية تولى الحكم من سنة796هـ إلى سنة 801هـ كان عالما كأبيه: أبو حمو موسى الثّاني .

[1] – تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان – ص:211.

أثّرت هذه النّهضة الثقافية والتيارات الفكرية في مدينة تلمسان ،فشهدت تطوّرا حضاريا وازدهرت الحضارة بها في جميع مجالاتها ،الاقتصادية والإجتماعية والثقافية والعمرانية ،حتّى أصبحت مدينة تنافس المدن المغربية الأخرى .

ولعل هذا التطوّر الحضاري الذي عرفته تلمسان بخاصة والمغرب الأوسط عامّة في العهد الزياني سببه النزعة العلمية التي طغت على معظم الملوك وحبّ أغلبهم للعلم وتقريب العلماء إلى مجالسهم وتشجيعهم على البحث العلمي والدراسات والإبداع في شتّى المجالات ،أي نهج سياسة حرية البحث والتفكير وهذا ما كان سائدا في العهد الموحدي .

الفصل الأول:

أصول النشر في العهد الزياني وأعلامه

المبحث الأول :البيئة الأدبية في العهد الزياني

المبحث الثاني :أعلام النشر في العهد الزياني

استولى السّلطان يغمراسن بن زيان(ت681هـ) على الحكم ثم أعلن استقلاله عن دولة الموحدين واتخذ تلمسان عاصمة لملكه الممتد من واد ملوية غربا الى تُخُوم بجاية شرقا ،وما كادت الدولة العبد الوادية تستقر بالمغرب الأوسط حتّى تصادمت مع وقائع حربية متعددة وفتن داخلية متوالية ،إلاّ أنّ النّاحية الثقافية للعصر بلغت منتهى رقيّها لما امتاز به ملوك هذا العصر من اهتمام بالعلم والعلماء.

فقد كان ملوك وأمراء بنو زيّان على قدر وافر من العناية بمختلف جوانب النشاط الثقافي.فكان الملك يغمراسن (يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم)[1] وكان يستقدم أهل العلم إلى تلمسان ويكرمهم حيث كان كغيره من (ملوك بني زيّان عموما وأبو حمّو موسى الأوّل وأبو تاشفين عبد الرّحمن الأوّل وأبو حمّو موسى الثّاني وأبو زيّان محمّد الأوّل وأبو عبّاس أحمد العاقل خصوصا يشجعون العلماء والأدباء والفنانين)[2]على العلم والعرفان وتقريبهم إلى مجالسهم والمنافسة على ذلك مع البَلاط الحفصي والبَلاط المريني[3].الزيانيون استقروا بالمغرب الأوسط فاتخذوا تلمسان عاصمة لهم فجعلوها منارة العلم في المغرب حيث اهتموا بالثقافة العلمية والأدبية وعرفوا ازدهارا كبيرا في شتّى المجالات بما فيها مجال الأدب من شعر ونثر حتّى كان عصرهم أزهى العصور وأحفله في تاريخ المغرب الأوسط حتّى لقب بالعصر الذهبي للمغرب الأوسط.

وما يلفت نظرنا هو البيئة الأدبية للإبداع الفني في عهدة بني زيان إذ وجب الإشارة إلى البيئة التي نشأ فيها الأدب في هذه الفترة.

المبحث الأول :البيئة الأدبية في العهد الزّياني :

---

[1]- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد-يحي بن خلدون مج:1،بيرفونطانا لنشر والتوزيع،الجزائر،1323هـ،ص :205.

[2]-باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان-الحاج محمد بن رمضان شاوش.ج:2،ديوان المطبوعات الجامعية ،ص63-64 .

[3] -تاريخ الأدب الجزائري -محمد طمّار.دار الثقافة ،الجزائر ،2004 ،ص122-123 .

عرف الأدب بصفة عامة في العهد الزّياني ازدهارا كبيرا —كما سبق وأشرنا- فكان من ملوك هذه الفترة الأديب والشّاعر وكانوا شديدي الحرص على الحركة العلمية والأدبية ،حتّى أصبح البَلاط الزّياني زاخرا بالأدباء والكتّاب الذين كانوا ينطقون بمجد الزّيانيين ويمدحون ملوكهم .[1]

والنّثر خاصّة فقد عرف رقيا واضحا وتطورا ملحوظا من حيث الكم والكيف ، ونهض به أدباء وكتّاب نهضة فنية ،استخدموا فيه الخيال الفسيح والأسلوب الجميل الذي يتلاءم وجمال المنطقة السّاحر ورصعوه باستعارات وعبارات أنيقة وآيات من القرآن الكريم والحديث الشّريف ،إضافة إلى الأشعار والأمثال[2] .فقد وجد الأدب على العموم في العهد الزّياني والنثر بالخصوص بيئة رحبة ساعدة على ظهوره والنهوض به ،فالبَلاط الزّياني كان بمثابة البيئة الأولى والأوسع لترعرع النثر وازدهاره بها ، فشهد تنوعا مختلفا من الرسائل على اختلاف أغراضها ومن خطب ووصايا ومقامات وأمثال وحكم،والفضل في كل هذا يرجع إلى الملوك الزّيانيين الذين كان لاهتمامهم وتشجيعهم فضل نشط الحركة الفكرية والتعليمية في تلمسان التي أصبح يتوافد عليها العلماء ويتنافس أهل العلم على الإستقاء من ينابيع الثقافة والعلوم من تلمسان ،والاستفادة من علماءها المقيمين والوافدين بصفة مباشرة لما كان هناك من فرص أتيحت للتمازج الفكري والحوار بالمناظرات والتعمق في البحث ودراسة المؤلّفات الفقهية والأدبية وغيرها .

فرغم الاضطرابات السياسية والظروف التي شهدتها عاصمة الدولة الزّيانية في بعض مراحلها نتيجة للحملات المرينية والحفصية على الحياة الزّيانية إلّا أنّها لم تستطع التأثير على الحياة الثقافية ، والفضل في ذلك يعود إلى بيئة تلمسان وواقعها المادي والبشري وتركيبتها الإجتماعية والفكرية التي

---

[1] - تاريخ الأدب الجزائري – ص: 122-123 .

[2] - (م.ن) : ص: 123 .

هيئها السلاطين الزّيانيين الذين شجعوا على العلم وأحبوا العلماء وأكرموهم .فكان للحركة العلمية حظ وافر في تلمسان خلال العهد الزّياني من خلال الطرق المتعددة التي نهجها السلاطين لتشجيع هذه الحركة وإثراء المجال العلمي وذلك ببناء المساجد والمدارس وتنوع المؤلّفات لعلماء المدينة وإنشاء المكتبات (فقد كان بالجامع الكبير مكتبتان عامتان في العهد الزّياني وكانت كلتاهما حافلتين بالكتب التي كان يستفيد منها الطلبة بالمطالعة وقت الفراغ من الدراسة). والمكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمّو موسى الثاني عام 760هـ وكانت هذه المكتبة على يمين المحراب بالمكان من الجدار القبلي الذي أثبتت به الخشبة والتي لا تزال مثبتة به الى يومنا هذا ،وقد هدمت المكتبة وفقدت ما كان فيها من الكتب حوالي عام 1266هـ حين قامت مصلحة الآثار التاريخية الفرنسية بتهديم الجامع الكبير.والمكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني عام 796هـ ، وكانت هذه المكتبة بالقسم الأمامي من الجامع الكبير ثم نُقلت إلى المدرسة الدولية عام 1323هـ ولا تزال منها بقية إلى يومنا هذا بمكتبة ثانوية الحكيم ابن زرجب بتلمسان.[1]

وقد قيض الله للمغرب الأوسط أن كان لها ملوك كان منهم العلماء والأدباء والشعراء ،والذين سعوا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية وشجعوا على الشعر والنثر ،فما كان للأدب في هذه الفترة إلاّ أن يزدهر ويتطور ،وأن تكون تلمسان والبَلاط الزياني خاصة بيئة مناسبة ومهدا للنثر الذي توفرت له كل الأسباب وكانت له الرعاية والعناية لينشأ ويتطور وتكون سوقه رائجة .

أخذ الزيانيون عمن سبقهم في المجال العلمي ،إذ أن بذرة الموحدين أعطت ثمارها حيث حافظوا على تقريب العلماء والأدباء من مجالسهم ،فكثرت المناظرات العلمية وازدهرت الحياة الأدبية ،فقد تأثروا كثيرا وفي مختلف مجالاتهم بما فيه مجال النثر الذي كان تأثيره واضحا على أدباء وكتّاب المغرب

[1] – باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان – ص 66-67.

حيث أنهم قلدوا أهل المشرق في علومهم وفي فنونهم ،وهذا ينطبق مع قول ابن بسام الشنتريني*،إذ يقول : (إلاّ أنّ أهل هذا الأفق ،أبوا إلاّ متابعة أهل المشرق ،يرجعون إلى أخبارهم المعتادة ،رجوع الحديث إلى قُتادة ،حتى لو نعَق بتلك الآفاق غراب ،أو طنَّ بأقْصى الشام والعراق ذُباب ،لجَثَوْا على هذا صنما،وتلوا ذلك كتابا محكما ،وأخبارهم الباهرة ،وأشعارهم السائرة مرمى القصيّة ومناخ الرذيّة * لا يعمر بها جنَانٌ ولا خَلَد ،ولا يُصرَّف فيها لسان ولا يد).[1]

والإشارة للنثر الزياني تستوجب الرجوع للوراء قليلا للحديث عن حالة النثر في المشرق والنظر إلى بعض المذاهب النثرية التي كانت سائدة و منتشرة آنذاك والتي استحدثها أدباؤه وكتّابه والتي كانت من العوامل الأساسية في تغيير وتطوير النثر بصفة عامة مضمونا وشكلا .[2]

وجد النثر منذ الجاهلية ،فملامحه متمثلة في الأمثال والخطب وغيرها ،وقد تميز بالإيجاز الشديد. ومع مجيء الإسلام ودخول العرب والأمم الأخرى في الإسلام ،شهدت الحياة من جميع نواحيها تطورا مسَّ النثر بدوره في شكله ومضمونه ولاسيما في العصر الأُمَوي والذي يعدّ العصر الذّهبي لتطور فن الخَطابة وهذه الأخيرة شهدت تطورا كبيرا لما كانت تقتضيه ظروف الحياة وضروراتها .إنّ الفاتحين العرب المسلمين كانو في حاجة ماسة إلى خطباء يرشدونهم ويحمسونهم ،وهي ظاهرة وجدت عند المسلمين منذ القدم وفي المشرق أوالمغرب والأندلس .برزت بشدة في العصر الأُموي واستمرت

---

* – هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني من أهل شنترين بالبرتغال حاليا، انتقل إلى قرطبة بعد سقوط مدينته الأصلية في أيادي مسيحيي الشمال بقيادة ألفونسو الأول صنف ابن بسام كتابه" الذخيرة في معرفة أهل الجزيرة "والذي يعد من أهم المراجع الأدبية والحضارية في بلاد الأندلس . وكان ذلك في سنة 502 هـ في أشبيلية حيث استقر وتفرغ للتأليف معتمدا في كسب عيشه على قلمه يكيل المديح لمن يجزيه عنه بالمال. وله عدة مصنفات اخرى منها : كتاب في شعر المعتمد بن عباد وكتاب في شعر ابن وهبون ورسالة عنوانها سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر ومجموعة مختارة من شعر أبي بكر بن عمار توفي سنة 542 هـ.

* – الناقة الهزيلة المتروكة التي لا تستطيع اللحاق بالركاب ؛والمعنى أن أخبار وأشعار هؤلاء منبوذة .

[1]– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة –أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني .ت:د.إحسان عباس .مج:1 ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1417 هـ ، ص:12 .

[2]– ابن خميس شعره ونثره –طاهر توات .ط:2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية ،بن عكنون ،الجزائر ،2012 م ،ص:225.

ومازالت قائمة إلى يومنا هذا ،فالمسلمون دائما في حاجة إلى خطباء يلقون خطب دينية في الأعياد والمناسبات ،حتى أنّ الخلفاء والأمراء والولاّة دائما ما كانوا في حاجة إلى كتّاب يختارونهم من النّبهاء لاستخدامهم في دواوينهم ومنه نشأ فن الرسائل الديوانية وغيره من مواضيع أخرى كالمناظرات باختلاف ألوانها ،فهذه الأخيرة ساهمت بشكل كبير في تطوير النثر وأصبح يتفنن فيه الكتّاب الكبار ولاسيما في شكله ،حتى إنّ النثر أصبح يبتعد عن الإيجاز الذي كان عليه أيام الجاهلية وأيام الخلفاء الراشدين ،وليجد في عهد الجاحظ مجالا واسعا و يطرق موضوعات الحياة العادية وغيرها وأصبح يتسم باستطراد والتلوين الصوتي ،ويقول شوقي ضيف شارحا لمذهب الصنعة عند الجاحظ :(فإنه كان يرى أن يخرج دائما في رسائله وكتاباته من باب إلى باب حتى لا يمل القارئ ،مما طبع أعماله جميعا بطابع الاستطراد ...وأيضا فإنه كان يشفع كتاباته دائما بتلوين صوتي أنيق...)[1] ،فالجاحظ ممن اعتنوا باللفظ والمعنى على حد سواء .كما تأثر به الكثير من الكّتاب ونهجوا مذهب فن التصنع في النثر على رأسهم ابن العميد[2] الذي كان يعدّ زعيم الكتّاب في المشرق وكان يطلق عليه الجاحظ الثاني لقى هذا المذهب رواجا كبيرا حيث التزمه الأدباء والكتّاب سواء في المشرق أم المغرب .

والقاضي الفاضل* في عهده هو الآخر نهج مذهب التصنع وبلغ به ذروته ومنتهاه وأحسن وأجاد التقليد ،فولع بالمحسنات اللفظية وخاصة السجع وأتى بأنواع الجناس المختلفة من تام وناقص. كان القاضي الفاضل حافظا للقرآن الكريم لذلك كان يضمن رسائله بآيات الذكر الحكيم ،وهذه

---

[1]- ابن خميس شعره ونثره –ص:227.

[2]- هو الكاتب محمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل بن أبي عبد الله المعروف بابن العميد لقب والده بذلك على عادة أهل خراسان في التعظيم ولقب بالجاحظ الثاني بالمقارنة مع الجاحظ، وقد لقب بالجاحظ الثاني وذلك لبراعته في الكتابة يعتقد أن وفاته كانت قبل سنة 367 هجرية.

* - عبد الرحيم البيساني، المعروف بالقاضي الفاضل أحد الأئمة الكتّاب، ووزير السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث قال فيه صلاح الدين (لا تظنوا أني فتحت البلاد بالعساكر إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل) وفي رواية لا تظنّوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل. ولد القاضي الفاضل بمدينة" عسقلان "شمال غزة في فلسطين سنة526هـ. وقد برز القاضى الفاضل في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار توفي سنة 596 هـ .

عادة حميدة وجدت عند الأدباء والكتّاب العرب والمسلمين عملا بما أوصى به عبد الحميد الكاتب* الكتّاب في قوله وهو ينصحهم قائلا :(...فتنافسوا يا معشر الكتّاب في صنوف الآداب ،وتفهموا في الدين ،وابدأوا بتعليم كتاب الله عز وجل ،والفرائض ،ثمّ العربية فإنّها ثقاف ألسنتكم ،وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ،وأيام العرب والعجم ،وأحاديثها وسيرها ،فإنّ ذلك معين لكم على ما تسموا إليه همكم ...)[1].فهذه الرسالة كانت بمثابة دستور سار عليه الأدباء والكتّاب عبر العصور .

إنّ الفاضل قد بلغ الذروة بمذهب التصنع في النثر العربي ،حيث حاكاه وقلده كتّاب في المشرق كمحي الدين بن عبد الظاهر* الذي عاش في القرن السابع هجري وفي المغرب كلسان الدين بن الخطيب *الذي عاش في القرن الثامن هجري .

المحسنات البديعية والزخرفة اللفظية كانت من المميزات الفنية للنثر في المشرق حيث كتب فيه كتّاب كبار معاصرون وأصبح ما توصلوا إليه من نتائج في هذا المجال عبارة عن مسلمات أو بديهيات لا تحتاج إلى تخمين أو تفكير .[2]

---

* – عبدالحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب القرشي، من أعلام الكتاب في القرن الثاني للهجرة نشأ في الأنبار أو الشام على خلاف بين المؤرخين كان كاتبًا أول للدولة الأموية على عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. ولكنه قتل مع خليفته على يد العباسيين عندما تولوا الحكم. يُعد عبدالحميد من أبرز الكتاب في تاريخ النثر العربي؛ فهناك شبه إجماع بين المؤرخين والنقاد على أنه كان صاحب مدرسة جديدة في كتابة الرسائل في النثر العربي ويعد عبدالحميد أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي، حتى صارت بلاغته مضرب المثل، فقد قيل: فتحت الرسائل بعبدالحميد وختمت بابن العميد. توفي 132هـ.

[1]– ابن خميس شعره ونثره –ص:230.

* – محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر السعدي المصري ولد بالقاهرة في 9 محرم عام 620 هـ لقب بـ "شيخ أهل الترسل" و"الكاتب الناظم الناثر"قاضي مصري وصاحب ديوان الإنشاء بالدولة المملوكية توفى محيي الدين بن عبد الظاهر بالقاهرة في عام 692هـ.

* – محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني الخطيب و يكنى أبا عبد الله، هو شاعر وكاتب وفقيه مالكي ومؤرخ وفيلسوف وطبيب وسياسي من الأندلس قضّى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط بني نصر وعرف بذي الوزارتين: الأدب والسيف. نُقِشت أشعاره على حوائط قصر الحمراء بغرناطة.توفي سنة 776هـ.

[2]– (م.ن) :ص:231-232.

أمّا النثر في الأندلس فقد تأثر هو الآخر بالنثر المشرقي ،سواء من ناحية المضمون أم من ناحية الشكل .فمن حيث المضمون أيضا كانت هناك الخَطابة و التي تنوعت بين الحربية والدينية ،والرسائل فكانت منها الإخوانية والديوانية التي كانت ترسل بين ترسل بين الخلفاء و الأمراء .أما الشكل فهو المذاهب النثرية ،مثل مذهب الصنعة والتصنع ،فإن تطور النثر في المشرق لقى صدا في الأندلس .

أمّا في عهد ملوك الطوائف فقد شهد النثر ازدهارا عظيما للانقسام السياسي الذي وجد في الأندلس،حيث كان كل ملك أو أمير طائفي يجدب ويستحضر الكتّاب و الأدباء الى مدينته أومقره وذاك ليباهي نظراءه الملوك والأمراء والذين كانت لمنافستهم هذه نعمة على الأدب والأدباء .وفي هذا العهد ظهر كاتب وأديب أندلسي كان من أعمدة الكتّاب في وقته وهو ابن زيدون*والذي كان قد تأثر بسابقيه من الجاحظ وابن العميد .

وابن زيدون له رسالة بعث بها إلى ابن جَهْوَرْ*يقول فيها : (يا مولاي وسيدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه ،واعتدادي به ،وامتدادي منه ،أبقاك الله ماضي حد العزم ،واريَ زَنْد الأمل ، ثابتَ عهد النّعمة ...

وإن يكنِ الفعلُ الذي ساءَ واحدًا فأفعالهُ اللائي سَرَرْنَ ألوفُ

* – أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي المعروف بابن زيدون وزير وكاتب وشاعر أندلسي ولد في قرطبة لأسرة من فقهاء قرطبة من بني مخزوم. تولى ابن زيدون الوزارة لأبي الوليد بن جهور صاحب قرطبة، وكان سفيره إلى أمراء الطوائف في الأندلس، ثم اتهمه ابن جهور بالميل إلى المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية، فحبسه . حاول ابن زيدون استعطاف ابن جهور برسائله فلم يعطف عليه. تمكن ابن زيدون من الهرب، ولحق ببلاط المعتضد الذي قربه إليه، فكان بمثابة الوزير. وقد أقام ابن زيدون في إشبيلية حتى توفي ودفن بها في أول رجب 463 هـ.

* – أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة أحد وزراء الدولة الأموية في الأندلس وأول حكام طائفة قرطبة المتوفي في المحرم 435 هـ.

وليت شعري ما الذنب الذي أذنبت ولم يسعه العفو ؟...وما أراني إلا لو أُمرت بالسجود لآدم فأبيت وعكفت على العجل ،...وشربتُ من النهر الذي ابتليَ به جنود طالوت...)[1].فابن زيدون في هذه الرسالة يقلد مذهب التصنع ،فهو يضمن رسالته بالشعر والأمثال العربية ويذكر بعض الحوادث الدينية التي وقعت في عهد الأنبياء والرسل ،في قوله :(وشربت من النهر الذي ابتلي به جنود طالوت) والمعجزات وتاريخ المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين والاقتباس من آيات الذكر الحكيم .

ويقول شوقي ضيف وهو يتحدث عن النثر في الأندلس : (إن الأندلسيين لم يستحدثوا لأنسفهم مذهبا جديدا في تاريخ النثر العربي ،فقد وقفوا عند المحاكاة ،وهي محاكاة اضطرتهم إلى ضروب من الخلط ؛إذ ترى الكاتب الواحد يجمع في نماذجه بين المذاهب الثلاثة التي رأيناها في المشرق)[2]فالأدباء والكتّاب الأندلسيين لم يلتزموا بمذهب واحد فقط حيث نجد لسان الدين ابن الخطيب* وهو أديب أندلسي يميل في نثره الفني إلى تقليد طريقة القاضي الفاضل التي كانت منتشرة في المشرق والمغرب[3].

أما عن النثر المغربي ،فالأدباء والكتّاب قلدوا فيه إخوانهم الأدباء والكتّاب في الأندلس والمشرق،إذ إن أنواع النثر التي وجدت في المغرب نفسها التي وجدت في المشرق ،من خطب ورسائل ديوانية ورسائل إخوانية وأغلبها بأسلوب أدبي ،زد على ذلك الكتب الأدبية والعلمية والتاريخية التي أُلّفت بالنثر التأليفي .

---

[1]- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- ص:340.

[2]- الفن ومذاهبه في النثر العربي-أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف.ط: التاسعة ، دار المعارف ،1980م،ص: 320.

* - محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد التلمساني الخطيب و يكنى أبا عبد الله.توفي عام 776 هـ.

[3]- ابن خميس شعره ونثره- ص: 234-235.

لقد كان للأندلسيين تأثير عظيم في جميع نواحي حياة المغاربة نظرا لبروزهم الشديد في حياتهم الأدبية على الرغم من سوء الأوضاع السياسية التي كانوا يعيشونها وهو ما دفعهم إلى الانتقال إلى المغرب واستقرارهم بها أمثال لسان الدين ابن الخطيب وبالمقابل انتقال المغاربة إلى الأندلس أمثال عبد الرحمن ابن خلدون لغرض التدريس أو أمور أخرى ،حتى أن مميزات الأدبين المغربي والأندلسي أصبحت واحدة نتيجة لامتزاج الثقافة المغربية الأندلسية التي كانت منذ عهد المرابطين والموحدين واستمرت حتى عهد الزيانيين في المغرب الأوسط[1] .فما كان لتلمسان إلا أن تعرف نهضة أدبية بصفة عامة ونثرية بصفة خاصة وكانت الحياة الفكرية مستوحات من الموروث الثقافي الحضاري للمرابطين والموحدين حيث نقلوا علومهم ومصنفاتهم .

اهتم الزيانيون منذ استقرارهم بالمغرب الأوسط بالثقافة الفكرية والأدبية حتى أن عصرهم كان أزهى العصور وأحفله في تاريخ المغرب الأوسط ومدينة تلمسان بالأخص التي كانت من الحواضر العلمية ، وفي هذه الحقبة الزمنية ظهر أدباء وكتّاب وعلماء ذاع صيتهم في كل المجالات من أدب وعلم وعمران وحتى في مجال الدين ،وفي المبحث الثاني تتطرقت للتعريف ببعض من أبرز هؤلاء الأدباء والعلماء .

المبحث الثاني : أدباء وعلماء العهد الزياني :

كان لاهتمام حكام الدولة الزيانية بالأدباء وتقريبهم إليهم وتشجيعهم على الأدب والكتابة فيه دور فعّال في ظهور نخبة من الأدباء ،يمكننا أن نشير إلى مجموعة من المشهورين والمغمورين منهم على السّواء :

[1] - ابن خميس شعره ونثره -ص :236-237.

العلوم اللسانية :اعتنى الطلاب والعلماء المغاربة باللغة العربية والآداب نثرا وشعرا ،واللغة العربية تلقت اهتماما كبيرا من طرف الدارسين كما اهتموا بالنحو والبلاغة لارتباطهما باللغة ولضرورة هذه العلوم في فهم النصوص الدينية من القرآن الكريم والحديث الشريف[1] .واشتهر من العلماء في هذا المجال :

محمد بن عبد الله حافي رأسه(ت680هـ) :هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيزبن عمر الملقب بجمال الدين الزناتي الأصل النحوي الشهير بحافي رأسه ،ولد بتلمسان .أخذ النحو عن أبي محمد عبد المنعم بن صالح التيمي وعن عبد الرحمن الزيات وأخذ أيضا عن نحوي الثغر عبد العزيز بن مخلوف الإسكندري الجراد ،ثم ارتحل إلى المشرق فنزل مصر واستقر بالإسكندرية فتصدّر لإقراء العربية فتخرج على يده طلبة كثيرون وأخذ عنه تاج الدين الفاكهاني.وهو أحد النحاة الثلاثة المحمدين في عصر واحد هو في الإسكندرية وابن النحاس في مصر وابن مالك في دمشق.[2]

وأبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطّاب المرْسِيّ (ت 686هـ) :أندلسي الأصل درس العربية والنحو والأدب على أشهر علماء الأندلس مثل أبي بكر محمد بن محمد المعافري،كما أخذ الحديث والفقه عن أبي بكر الزهري ،ولما كثرت الفتن نزل تلمسان مع جالية شرق الأندلس ووفد على السلطان يغمراسن بن زيان فاستكتبه بديوان الإنشاء[3].وقد استقدمه المستنصر الحفصي* إلى تونس وبعث أليه بمال فرده عليه وبقي مقيما بتلمسان على خطته إلى أن توفي .صدرت عنه عدة

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ،عمرانية ،اجتماعية ،ثقافية)-عبد العزيز فيلالي .ج :2 ،موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2002 ، ص:452 .

[2]- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر-محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان.مج:1،دار البصائر للنشروالتوزيع،الجزائر،2011م،ص:373.

[3]- أبو حمّو موسى الزياني حياته وآثاره -عبد الحميد حاجيات .ط :2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مركب الطباعة ،الجزائر ،1983م ،ص: 50.

* - المولى أبو عبد الله محمد المنتصر ابن أبي زكرياء بن عبد الله أبي محمد عبد الواحد، وأمه الأميرة عطف التي بنت جامع التوفيق، والمدرسة التوفيقية، ولد عام 625 هـ،سلطان حفصي تولى الحكم فيما بين عامي 647 هـ و675 هـ،ويعتبر عهده العصر الذهبي للدولة الحفصية.

رسائل في مخاطبة خلفاء مراكش وتونس وفي مختلف الأغراض الأدبية تنوقلت وحفظت ،كان ابن خطّاب كاتبا بارعا ،قال عنه الحافظ التّنسي* : (وبوفاته انقرض علم الكتابة).[1]

والأديب سليمان بن علي التلمساني الملقب بعفيف الدين(ت 690هـ) :هو سليمان ابن علي بن عبد الله الكومي ولد بتلمسان وأصله من قبيلة كومة[2]،وهو من المتصوفين ،ثم ارتحل إلى المشرق فدخل القاهرة ثم ساقر إلى بلاد الروم وبنى فيها أربعين خلوة[3] ثم استوطن دمشق وعُيّن راعيا للخزينة.كان عفيف الدين متصوفا يتكلم على إصلاح القوم ويتبع ابن العربي في أقواله وأفعاله، توفي بدمشق ودفن بالمقابر الصوفية .

إن عفيف الدين أديب وشاعر له مشاركة في كثير من العلوم ،له عدة شروح منها «شرح النصوص لابن العربي »و«شرح المواقف للنّفري»وله كذلك في التآليف«الكشف والبيان في علم معرفة الإنسان»وله كتاب آخر في علم العروض .[4]

وأبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني (ت 708هـ) :هو أبو عبد الله محمد بن عنر الحجري الرعيني* المعروف بابن خميس التلمساني ،ولد بتلمسان ونشأ بها وأخذ عن علمائها الأدب واللسانيات.تولى ابن خميس ديوان الإنشاء عند السلطان أبو سعيد عثمان ولكن كثرت الوشايات فيه ولاسيما من طرف القاضي ابن هديّة فما كان له إلاّ أن يغادر من مدينته فارا إلى سبتة

---

* – أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني هو إمام ومحدث ومقرئ وفقيه مشهور باسم الحافظ التّنسي . ولد بمدينة تنس بالجزائر. انتقل بعدها إلى حاضرة الزيانيين مدينة تلمسان حيث قرأ التفسير و القراءات و الحديث و الفقه عن علماء كما انتقل إلى مدينة فاس حيث أخذ عن علمائها ، و سافر أيضا إلى المشرق ليستفيد مما يرويه محدثوه و علمائوه.توفي عام 899هـ بتلمسان.

[1] – باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان–ج:2،ص:117.

[2] – هي قبيلة بربرية قاطنة على ساحل البحر بالشمال الغربي من تلمسان من نواحي ندرومة.

[3] – العزلة أي مكان اختلاء الإنسان مع ربّه .

[4] – إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر–ص:384.

* – نسبة إلى حجر ذي رعين :قبيلة من قبائل اليمن.

ومكث بها فترة إلى أن انتقل منها إلى غرناطة .كان ابن خميس من الشعراء المتميز في عصره ،كان بليغا حافظا لأشعار العرب وميله كان للزهد والتصوف .بلغت شهرته بلاد المشرق وفي هذا يقول المقري في "نفح الطيب" : (أن أبو إسحاق التنسي لما توجه من تلمسان إلى بلاد المشرق اجتمع بالقاضي تقيّ الدين بن دقيق العيد ،فكان من قوله له :كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ؟وجعل يحليه بأحسن الأوصاف ويطنب في ذكر فضله ؛فبقي السيخ أبو إسحاق متعجبا ، وقال من يكون هذا الذي حليتموه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلدي ؟فقال له :هو قائل :عجبا لها أيذوق طعم وصالها .قال :فقلت له :إنّ هذا الرجل ليس هو عندنا بهذه الحالة التي وصفتم ،إنما هو عندنا شاعر فقط.فقال له :إنّكم لم تنصفوه ،وإنه لحقيق بما وصفناه).

توفي بغرناطة قتيلا يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم .[1]

وإضافة إلى السابقين كذلك صاحب الرحلة المغربية المعروفة باسمه :

محمد بن محمد العبدري (ت720هـ) :هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود المشهور بالعبدري ،أصله من بلنسية بالأندلس .يعد من أعلام تلمسان لطول إقامته بها حيث يقول هو بنفسه: (وكان رحيلنا من تلمسان بعد المقام المطول ...)[2]وكان مقامه بها عام 688هـ .كان العبدري كاتبا ماهرا يجيد فنون الكتابة على اختلاف أنواعها ولاسيما الوصف كما كان يحسن قرض الشعر أيضا .[3]

---

[1]- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر–ص :406-407.

[2]- الرحلة المغربية–محمد العبدري البلنسي.ت:أ.د.سعد بوفلاقة.ط:1،مؤسست بونة للبحوث والدراسات ،الجزائر ،1428هـ ،ص :22.

[3]- باقة السوسان في التعريف بتلمسان عاصمة بني زيان –ص :121.

ومنهم أيضا **محمد بن منصور بن هدية(ت736)** :هو أبو عبد الله محمد بن منصور ين هدية القرشي التلمساني وصفه يحي بن خلدون بأنه (كان من أئمة اللسان والأدب وذو بصر بالوثائق) تولى خطة القضاة بتلمسان كمل اشتغل كاتبا بديوان الإنشاء في البَلاط الزياني حيث كان بليغا ينشئ الرسائل المطولة في فنون شتى كما كان ذا حظ وافر من التاريخ له من التآليف "تاريخ تلمسان"و"شرح رسائل ابن خميس" .

قال عنه القاضي النباهي* : (إنه كان أصيل الرأي ،مصيب العقل محبا للخير ،معينا عليه).

من نثر ابن هدية عن محاكمة ابن خميس في فاس : (اتفق أن اجتمع في بعض محافلها الحافلة ، ومجالسها العامرة بأهل الفضل الآهلة بطائفة من حذّاق الأشعرية وجماعة من الفقهاء المالكية كالشريف أبي البركات وغيره من فقهاء ذلك القطر ففتحوا باب المذاكرة ،وسلكوا سبيل المناظرة ، وتفننوا في الكلام إلى أن أخذوا في علو الكلام ،استدراجا لابم خميس ،واستخراجا لخبّ مذهبه الفلسفي الخسيس ...)[1]

وأيضا **أحمد بن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ)** :هو أبو العباس أحمد بن يحي بن أبي حجلة الملقب بشهاب الدين ولد بزاوية جدّه عبد الواحد بنواحي تلمسان التي نشأ ودرس بها ، ثم ارتحل إلى المشرق مع عائلته فزار الحجاز ثم أقام بدمشق مدة من الزمن ثم انتقل إلى القاهرة وبقي فيها إلى أن مات فيها بالطاعون .

---

* – علي بن عبدالله بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي النّباهي، أبو الحسن، المعروف بابن الحسن، قاضٍ من الأدباء المؤرخين.توفي سنة 792هـ.

[1] – إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر –ص:427-428.

كان أبي حجلة ولوعا بالأدب له عدة مصنفات في الأدب والنحو منها "غرائب العجائب وعجائب الغرائب" .

من نثره في ذكر من اتصف بالعفاف وبأحسن الأوصاف :أقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر المحبين ميلا وأظهرهم دليلا وأحسنهم سيرة وأزكاهم سريرة وأعفهم مع القدر ولاسيما بني عذرة* الذين هم أشد الناس غراما وأعظمهم هياما فلذلك قلت وأقول :

(العشق مع العفة في بني عذرة كثير ،والمقتول منهم عشقا جَمّ غفير فإن ذكر أحدهم فجميل*:جميل الصفات صادق العزمات...)[1]

و **محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت776هـ)** :أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الملقب بلسان الدين ولد بمدينة بغرناطة وبها قرأ وتأدب على مشيختها كان ابن الخطيب كاتبا وشاعرا قد بلغ في الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما ،كانت كتاباته مشوبة بصيغة من أسلوب الفقهاء والعلماء من نثره نذكر وصفه لتلمسان وأهلها :(تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه...)[2]

إضافة إلى **يحيى بن خلدون (ت780)** :هو أبو زكريا يحي بن محمد بن خلدون التونسي ، تلقى العلم بتونس عن علمائها امثال :أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي والآبلي .

---

* – قبيلة اشتهر رجالها بوفور العشق ونساؤها بفرط العفاف.

* – جميل بثينة.

[1] – إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر–ص:439–440.

[2] – (م.ن) :ص:456–458.

دخل تلمسان قدوما من بسكرة فولاه السلطان أبو حمو موسى الثاني وظيفتي الحجابة والكتابةإلى أن قتل في رمضان بتدبير من الأمير أبي تاشفين ،كان يحى كاتبا بارعا وشاعرا مجيدا ومؤرخا ،من أشهر آثاره "بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد".

من نثره وصفه لتلمسان وما حولها : (وهي مدينة عريقة في التمدن لذيذة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت.اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه ببسيط أطول من شرق إلى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين...)[1].

والخطيب **محمد بن أحمد بن مرزوق (ت 781)** :هو أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني الملقب بالخطيب والجدّ والرئيس ،ولد في تلمسان وبها نشأ تلقى علومها الأولى بها ثم انتقل إلى الحجاز فأدى فريضة الحج ثم دخل الشام ومصر أخذ العلم عن جل علماء المشرق ثم رجع إلى تلمسان وخلف عمه في الخطابة بجامع العبّاد.وكان له دورا هاما كغيره من معاصريه ابن الخطيب وابن خلدون في السياسة ولم يكن دوره في العلم والأدب بأقل منها في فنون النثر والشعر علاوة على الفقه وأصوله.من أشهر تآليفه "المسند الصحيح الحسن في أحاديث السلطان أبي الحسن".[2]

ومن نماذج نثره في إنشاء المدارس:(ثم أنشأ رضي الله عنه ،في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة .فأنشأ بمدينة تازي قديما مدرسة الحسنة ،وببلد مكناسة وسلا وطنجة وسبتة وأنفى وأزمور وأسفي وأعمات ومراكش والقصر الكبير وبالعبّاد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع الذي قدمت ذكره ، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان ...وروينا في الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال : «إذا مات العبد انقطع عمله إلاّ من ثلاث :صدقة

---

[1]- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر –ص:465-466.

[2]- (م.ن) :ص: 473-474.

جارية ،وعمل صالح ينتفع به وولد صالح يدعو له » ولا أفضل من هذه الأعمال الجارية (تقبلها الله تعالى منه ورضي عنه).[1]

والسلطان **أبو حمّو موسى الثاني (ت791هـ)** :هو السلطان أبو حمّو موسى الثاني بن يوسف بن زيّان ،كان كاتبا بارعا وشاعرا بليغا يحسن قرض الشعر يحب أهل العلم والعلماء ويكرّمهم كان يحتفل بالولد النبوي الشريف وينشد قصائد في مدح النبي عليه الصلاة والسلام من نظمه ، ارتبط اسم ابي حمّو موسى الثاني بكتابه الشهير الذي ألّفه في السياسة الموسوم بـ "واسطة السلوك في سياسة الملوك " الذي ألّفه لابنه وولي عهده الأمير أبي تاشفين .

من نثره نذكر (اعلم يا بني أنه ينبغي لك أن يكون أول داخل عليك مزوارك* الموصوف ، وعونك المعروف ،ليغرّفك من بابك وحجّابك ،وأرباب دولتك وكتّابك ،فأول من يدخل عليك كاتبك ووزيرك،إذ بهما صلاحك وتدبيرك وذلك أهم ما تبتدئ به من أمرك ،لتلتقي إلى الكاتب ما أردت من سرّك ،ويعرض عليك الكتب الواردة من أقطارك وأمصارك ،وذلك بحضور وزيرك المخصوص برأيك وتدبيرك ،لجمع معك على الرأي والتدبير والجليل من أخبارك والحقير ،فإن الوزير إذا كان على ما وصفناه ،بالصفة التي ذكرناه ،فلا ينبغي لك أن تخفي عليه شيئا من أمرك ،بل تشاركه في حلوّك ومرّك وقلّك وكثرك .)[2]

---

[1]- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن–محمد ابن مرزوق التلمساني.ت:د.ماريا خيسوس بيغيرا .تقديم:محمود بوعيّاد .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981م ،ص :406-407.

* - لفظة بربرية تطلق على الولد البكر وهنا تطلق على الوزير الأول أو رئيس الوزراء.

[2]- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر –ص :489-490.

كذلك **محمد المقري التلمساني –الجد– (ت795)** :هو عبد الله محمد بن محمد المقري[1] التلمساني ولد ونشأ بتلمسان ،أديب وقاض من أكابر المذهب المالكي ،شيخ لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون. كان المقري آية من آيات الله الكبرى في غزارة الحفظ وكثرة العلم ، خرج من تلمسان إلى فاس فولى القضاء بها ومنها عبر إلى الأندلس ثم عاد إلى فاس إلى أن توفي بها ثم نقل إلى مسقط رأسه ودفن بها.قال عنه القاضي النباهي : (هو محمود السيرة مشكور الطريقة).[2]

من آثاره "القواعد" اشتمل على 1200 قاعدة ،قال الونشريسي* في حقه (إنه كتاب غزير العلم ، كثير الفوائد ، لم يسبق إلى مثله ،بيد أنه يفتقر على عالم فتاح) و"الطرف والتحف" و "المحاضرات" و"شرح لغة قصائد المغربي الخطيب" و"إقامة المريد" و"الحقائق والرقائق" .

و **عبد الرحمن بن خلدون التونسي (ت 808هـ)** :هو وليّ الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وهو شقيق أبي زكريا يحي بن خلدون كاتب السلطان أبي حمّو موسى الثاني ،اشتهر بالعلم والرئاسة .غادر تونس متجولا في إفريقيا ،وتقلب في عدة مناصب سامية في المغرب الأقصى والأندلس ثم رجع إلى المغرب الأوسط واستقر بتلمسان رفقة أهله وولده في خدمة السلطان أبي حمّو موسى الثاني حيث شرع في كتابة كتابه الكبير في التاريخ .ثم عاد إلى تونس ومنها إلى مصر وبها توفي.

---

[1] – نسبة إلى مقرة قرية من قرى الزّاب

[2] – إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر – ص:435.

* – أحمد بن يحي الونشريسي المعروف بأبو العباس الونشريسي أو كما عرف نفسه في عدة وثائق له وعرفه معاصروه بأنه أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، وسمي بالونشريسي نسبة إلى موطنه الأصلي بجبال الونشريس.ولد بقرية من قرى ونشريس بناحية بجاية،هو الإمام حافظ المذهب المالكي ،حبر تلمسان وفاس ،حجة المغاربة على الأقاليمتوفي رحمه الله سنة 914 هـ ،بمدينة فاس و دفن بها.

من أشهر مؤلفاته كتابه التاريخي المسمى بـ"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصمهم من ذوي السلطان الأكبر" في أربعة الأجزاء والجزء الأول هم الكتاب المعروف بـ"المقدمة" .

من نثره ما تحدث به عن قصور الملك بتلمسان : (وكانت قصور الملك بتلمسان لا يعبّر عن حسنها.اختطّها أبو حمّو الأول وابنه أبو تاشفين واستدعيا الصنّاع والعَملة من الأندلس فبعث إليهما أبو الوليد بن الأحمر بمَهَرَة البنّائين استجادوا لهما القصور والمنازل والبساتين ممّا أعيا الناس بعدهم أن ياتوا بمثله)[1].

إضافة إلى **محمد بن عبد الله التَّنَسِي (ت899هـ)** :هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحافظ التَّنَسي نسبة إلى تنس الميناء الكبير الذي يقع غرب الجزائر العاصمة والذي أصله منها ،نشأ بتلمسان وأخذ عن أئمة علماؤها .

كان كاتبا وشاعرا ومؤرخا ترك آثار أدبية تاريخية قيمة منها كتاب "الدر والغقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان"وكتاب "راح الأرواح فيما قال السلطان أبو حمّو وقيل فيه من الأمداح".

من نثره ماتحدث به عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بمشور تلمسان : (إنه "أي السلطان أبا حمّو موسى الزياني"كان يقيم ليله المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشوره من تلمسان المحروسة مدعمة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة .فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات ومباخر صفر منصوبة

[1]- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر-ص :541-542.

كالقباب يَخالها المبصر من تبر مذاب ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار ربيع المنمنمة تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر).[1]

أما عن **العلوم الدينية** :نالت الحياة الدينية نصيبا وافرا من اهتمام الزيانيين ولتمسكهم بالدين حيث كان لها الأثر الواضح في الحركة العلمية .والمذهب الماكلي هو المذهب الرسمي ،للدولة فالمغاربة كانوا أشد تمسكا به ،فاعتنى علماء المغرب الأوسط بهذه العلوم من تفسير وفقه وعلم القراءات وعلوم الحديث ،ونبغ في مجالها الكثير نذكر منهم :

أبو إسحاق التّنَسي (ت640هـ) :هو أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التّنَسي نشأ بتنس وأخذ العلم ببجاية وتونس،تتلمذ على يد أبو الفضل ابن مرزوق وقاسم العقباني وأبو الفضل محمد بن الإمام والإمام الأصولي محمد النجار والوالي إبراهيم التّازي وابن عباس ،كان أبو إسحاق زاهدا . ارتحل إلى المشرق ،زار مصر والحجاز والشام وأخذ عن علمائها ،ثمّ عاد إلى بلاد المغرب وقد انتهت إليه رئاسة الفتوى ،واستقدمه السلطان يغمراسن بن زيان إلى تلمسان لتدريس العلوم الدينية وانتفع بعلمه الكثير من الطلبة أمثال أبو عبد الله الحاج العبدري.

كان أبو إسحاق كثير الدرس قليل التأليف ومن تآليفه شرح كبير على كتاب التلقين في فروع الفقه المالكي في عشرة أجزاء.[2]

[1]- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر –ص:597-598.

[2]- تلمسان في العهد الزياني ،ج:2 ،ص:329.

أيضا **أبو الحسن التَّنَسي (ت706هـ)** :هو الأخ الأصغر لأبي إسحاق التَّنَسي ،تولى وظيفة تدريس العلوم الدينية بعد أخيه ،كانت ذو مكانة رفيعة وعظيمة عند الملوك الزيانيين والمرينيين حتى إنّ أبو يعقوب المريني شهد جنازته .دفن أبو الحسن التَّنَسي في العبَّاد .[1]

وأبا العباس بن أحمد بن محمد بن مرزوق (ت741هـ) :ولد بتلمسان ونشأ بها أخذ العلم عن أبي زكرياء بن عصفور وأبي إسحاق التَّنَسي وغيرهم من علماء تلمسان ،كان أبا العباس من العلماء الزّاهديمثل أبيه.دفن محمد بن مرزوق بالقرب من السلطان يغمراسن بن زيان وهذا تنفيذا للوصية التي تركها السلطان لابنه أبي سعيد عثمان تبركا بجواره.[2]

كذلك الإخوة **أبو زيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله وأبو موسى عيسى ابنا الإمام**:اشتهرا بابنا الإمام لأن أباهما كان إماما. أجمع علماء المغرب العربي بأنه لم يكن في زمانهما أعظم رتبة و لا أعلم منهما ، وكان أكبرهما هو أبو زيد نشأ بمدينة برشك التاريخية بالساحل الغربي الجزائري مابين مدينة شرشال و مدينة تنس حيث كان أبوهما إمام المسجد الاعظم لهذه المدينة فاشتهر بلقب الإمام،اتحلا إلى تونس بعد مقتل والدهما الذي اتهم باغتلاس وديعة مالية مما جعلها ذريعة إلى قتله ،وبها أخذا العلم عن تلامذة ابن زيتون وأبي عبد الله الدكالي.درّسا بعدّة مدن بالمغرب الأوسط ووفدا على السلطان أبي حمّو موسى الأول الذي أكرمهما لهما المدرسة التي اتخذت اسميهما. توفي الأخ الأكبر أبو زيد عبد الرحمن سنة 743هـ في حين توفي الأصغر أبو موسى سنة 749هـ بالطاعون الجارف الذي أصاب برشك.

---

[1]- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،مج :1 ،ص:114.

[2]- (م.ن) :ص:114.

كان لهما مكانة كبيرة في الأوساط العلمية بالمغرب والمشرق ، أخذ عنه جماعة من الأئمة أمثال الآبلي والمقري والخطيب ابن مرزوق وسعيد العقباني وغيرهم ،ألّف أبو زيد شرح على فرعي ابن الحاجب ، قال ابن فرحون* :(لهما التصانيف المفيدة).[1]

كذلك **أبو موسى عمران المشدالي (ت745هـ)** : أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي ،من منطقة مشدالة التي تنتمي إلى قبائل زواوة غرب مدينة بجاية .تتلمذ على يد والده العلامة الزاهد محمد بن أبي القاسم (ت866 هـ) مفتي مدينة بجاية وخطيبها وأخوه الحاج محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي(ت859 هـ)كان متقدماً في العلم والإمام ابن مرزوق الحفيد (ت842 هـ) ،قال عن تلميذه المشدالي:" ما عرفت العلم حتى قدم علي هذا الشاب ،فقيل كيف؟ قال لأني كنت أقول فَيُسَلِّمُ كلامي فلما جاء هذا شرع ينازعني فشرعت أتحرز وانفتحت لي أبواب من المعارف "وقاسم بن سعيد بن محمد العقباني (ت854هـ) :مفتي تلمسان وقاضيها .

انتقل إلى مدينة الجزائر ومنها إلى تلمسان حيث ولاّه السلطان أبو تاشفين الأول التدريس بمدرسته،فدرّس الحديث والفقه والفرائض .له فتاوي نقل بعضها الونشريسي في كتابه المعيار .[2]

بالإضافة ل**أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ)** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي التلمساني هو العالم الأصولي ولد ونشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها ،ثمّ ارتحل إلى فاس ودرس عن شيوخها ،ثم إلى تونس ولقي هناك عدة من العلماء استفاد من علمهم ثمّ عاد

---

* – إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون من كبار المدرسين من أهل التحقيق يعرف ببرهان الدين توفي سنة 799هـ .

[1]– البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان –أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف التلمساني .المطبعة الثعالبية ، الجزائر، 1326– ص:123–126.

[2]– نيل الإبتهاج بتطريز الديباج –أحمد بابا التنبكتي .ت :د .عبد الحميد عبد الله الهرامة .ط :2 ،منشورات دار الكاتب ،طرابلس ،963 هـ ، ص:350 .

إلى مدينة تلمسان في أيام السلطان أبو حمّو موسى الثاني الذي ولاّه التدريس بالمدرسة اليعقوبية وجلس بها لتدريس العلوم الشرعية و العقلية حتى ذاع صيته بين الأمصار والأقطار فالتف حوله طلبة العلم من شتى البقاع .توفي ودفن بالمدرسة اليعقوبية مع أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو و عمه السلطان أبي سعيد و هو ما يعرف اليوم بجامع سيدي إبراهيم المصمودي بمدينة تلمسان ،قال عنه السلطان أبو حمو موسى الثاني الزياني لابنه عبد الله : "ما مات من خلفك إنما مات أبوك لي لأنني أباهي به الملوك" .من تآليفه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" و"كتاب في القضاء و القدر" وعدة مصنفات أخرى و رسائل و فتاوي .[1]

والإمام **أبو عثمان سعيد بن محمدبن محمد العقباني (811هـ)** :ولد بتلمسان وأخذ العلم بها وعن أبرز مشايخ عصره بالمغرب أمثال محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني عرف بـ"الآبلي" (ت757هـ) و أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام التنسي التلمساني (ت743هـ) وعن أخيه أبو موسى عيسى ابن الإمام التنسي التلمساني (ت749هـ) ،وصار راسخ القدم في العلوم العقلية والنقلية وقد ولي القضاء ببجاية وتلمسان وسلا ومراكش ووهران وهنين وفي ذلك يقول يحي بن خلدون في كتاب بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد : "ولي قضاء الجماعة بتلمسان وبجاية ومراكش وسلا ووهران وهنين ،فحمدت في جميعها سيرته عدلا وجزالةً وهو الآن خطيب الجامع الأعظم بتلمسان".تخرج على يده عدّة طلبة منهم ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) و ابن زاغو المغراوي التلمساني (ت845هـ) والشريف التلمساني (ت826هـ) .من مآلفاته "شرح الحوفية في الفرائض" و"شرح البردة" و"شرح مختصر ابن الحاجب الأصولي" .توفي الإمام سعيد العقباني في

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :331.

تلمسان ودفن بها .قال عنه مصاعد التلمساني : (كان فقيها علاّمة خاتمة قضاة العدل بتلمسان) وكان ينعث برئيس العلماء العقلاء .[1]

والخطيب **محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ)** :ولد بتلمسان ونشأ بها كان متمسكا بالعلم والدين اللذان أخذهما عن والده وعمه وسعيد العقباني وأبي إسحاق المصمودي وغيرهم ،ثمّ ارتحل إلى تونس وفاس ودخل القاهرة ولقي عدّة أعلام في كل منهم أمثال الإمام بن عرفة* والحافظ بن مسعود الصنهاجي الفيلالي وعبد الرحمن بن خلدون غيرهم الكثير من ذوي الفضل والتبريز وأخذ عنهم العلم ،فاشتهر ابن مرزوق بما اشتهر به جدّه الخطيب من الرسوخ في العلم والخطابة والتوسع في الرواية والإحاطة بمذاهب الفقه الإسلامي وحل مقفلات المسائل العلمية والمشكلات ،كما اشتهر بكرم الأخلاق وبالمقابل كان شديدا مع أهل الأهواء والبدع ،فاجمع الناس يومئذ على فضله من المغرب إلى الديار المصرية واشتهر ذكره في البلاد فصار يدعى بشيخ الإسلام وعالم الدنيا .كان ابن مرزوق الحفيد متضلعا في الفقه المالكي وحافظا للحديث ومفسرا ونحويا وناظما .قال فيه القلصادي* في رحلته : (أدركت بتلمسان كثيرا من العلماء والزهاد والعباد والصلحاء وأولادهم بالذكر والتقديم الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا أبو عبد الله بن مرزوق العجيسي رضي الله عنه ...) .

---

[1]- تاريخ الجزائر العام –عبد الرحمن محمد الجيلالي .ج:2،ط:2 ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1385هـ ،ص:123.

* - محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي يكنى أبا عبد الله، إمام تونس وعالمها وخطيبها ومفتيها،كان من فقهاء المالكية، تصدي للدرس بجامع تونس وانتفع به خلق كثير،توفي ابن عرفة في 20 جمادى الثانية عام 803هـ.

* - أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي ولد في بسطة بالأندلس سنة 835 هـ وتوفي في باجة بتونس سنة 891 هـ اشتهر بعلم الحساب، كما كان عالما بالفروض والنحو وفقيهًا على المذهب المالكي.

من تآليفه "إسماع الصُّم في إثبات الشرف من جهة الأم" و"المفاتيح المرزوقية في حل أقفال وخبايا الخزرجية".توفي بتلمسان وكانت صلاة جنازته بجامع تلمسان الأعظم ودفن به وحضر جنازته السلطان والأعيان .[1]

والعالم **أحمد بن زاغو (ت845هـ)** : هو أبو العباس أحمد بن محمَّد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني الشهير بابن زاغو عالم من كبار علماء تلمسان ولد ونشأ ودرس بها أخذ عن والده وعن أبو يحي عبد الرحمن الشريف التلمساني وأخذ عن أبي سعيد العقباني ،كان مدرسا بالمدرسة اليعقوبية. تخرج على يده ابن زكري التلمساني ،يحي المازوني ،الونشريسي ،القلصادي .من تآليفه "شرح التلمسانية في الفرائض" .[2]

و كذلك **أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي (ت 871هـ)** :هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري ،ولد بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر والتي أخذ العلم بها قبل ارتحاله إلى بجاية ليأخذ العلم عن علمائها ويلازم مجالسهم ،وبعدها انتقل إلى تونس ومصر كذلك ليستفيد من كبار العلماء بهما ثمّ عاد إلى الجزائر وصار من كبار علمائها وتخرّج على يده علماء أمثال محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) وأخوه الإمام أبو الحسن ومحمد المغيلي التلمساني (909هـ).من تآليفه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"و"روضة الأنوار ونزهة الأخبار" و"الإرشاد في مصالح العباد" وغيرها الكثير .[3]

---

[1]- تاريخ الجزائر العام –ص :210.

[2]–رحلة القلصادي –أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي .ت :محمد أبو الأجفان .الشرمة التونسية للتوزيع ،تونس ،1978 ،ص :102.

[3]- نيل الإبتهاج –ص:257 .

و**محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ)** :هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي نسبة لقبيلة بالمغرب ويلقب أيضاً بالحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه, وهو تلمساني أيضاً نسبة إلى بلدة تلمسان. وهو عالم تلمسان ووزاهد من كبار علمائها ومن كبار المشهورين فيها، حتى قبل فيه "إنّ سمعته تغني عن التعريف به" .ولد بتلمسان أخذ العلم بها من الشيخ الحسن أبركان و الشيخ نصر الزواوي .اجتهد السنوسي حتى فاق أقرانه في التفسير والحديث ودرّس بتلمسان وانتفع بعلمه خلق كبير .

توفي في تلمسان ودفن بمقبرة بها سمّيت باسمه .ترك السنوسي تآليف كثيرة منها "المقرب المستوفى على الحوفي" ألّفه وهو ابن تسع عشرة سنة .[1]

وبالإضافة إلى **محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)** :هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ولد ونشأ بتلمسان وبها أخذ العلم عن علمائهاكالشيخ عبد الرحمن الثعالبي(786هـ) والشيخ يحي بدير،اشتهر بتصلّبه في الدين وتمسّكه بالسّنة .ارتحل إلى واحة توات ومكث فترة بها وحدثت له وقائع مع يهودها أدّت إلى قتالهم فاشتهر بفتواه في قضية يهود توات .

كان المغيلي ناثرا وأيضا مفسرا وفقيها خلّف تآليف كثيرة منها "البدر المنير في علوم التفسير" و"مصباح الأرواح في أصول الفلاح " وغيرها الكثير.[2]

---

[1]- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر –ص:585.

[2]- (م.ن) :ص:626.

ترك علماء تلمسان وأدبائها تراثا فكريا ثمينا لا يفقد قيمته بمرور العصور ،حيث كانت لهم البصمة الخاصة في كل العلوم ورغم التأثر الواضح لهم بالنّازحين الأندلسيين الذين أحضروا معهم علومهم ونشروها ؛إلاّ أنّ التلمسانيين كان لهم أسلوبهم الخاص بهم .ونظرا لحب الحكّام الزيانيين للعلم وتعلّقهم الشديد به واعتنائهم بالعلماء وتكريمهم بتقريبهم إلى مجالسهم والمنّ عليهم بالعطاء ،تميّز العهد الزياني بكثرة العلماء سواء من تلمسان أو من الأقطار المجاورة من فاس وتونس والأندلس الذين كانوا يدخلونها طلبا للعلم ،فكثر التأليف والإنتاج عندهم في كل المجالات نتيجة للبيئة الرحبة التي هيئها الزيانيون للعلم والعلماء .

فرغم الاضطرابات التي تميّزت بها معظم فترات الدولة الزيانية في حالتها السياسية ،والمتمثّلة في الهجمات التي كانت تتلقّاها من الحفصيين شرقا والمرينيين غربا والفتن الداخلية ،إلاّ أنّ الحالة الفكرية عرفت منحى آخر ،فهي لم تتأثّر بكل هذه الصراعات بل نشطت وتطوّرت كما ظهر فيه كم هائل من العلماء الذين لم تكن الأوضاع المزرية عائقا في طريق مردودهم الفكري ،فالملوك الزيانيين لم يهملوا الجانب الفكري والعلمي بل قاموا بالعلم كما شجّعوا أهله .

وبهذا العلم ازدهرت تلمسان حتى كانت منارة العلم واشتهر المغرب الأوسط حتي أُطلق عليه العصر الذهبي لنشاط الحياة الفكرية والثقافية به واعتناء حكّامه بكل مجالات الحياة من اقتصاد ودين وثقافة والأدب خاصة .

الفصل الثّاني :

أغراض النثر وجمالياته في العهد الزياني

المبحث الأوّل :الأغراض النثر في العهد الزياني

المبحث الثّاني :جماليات النثر في العهد الزياني

قامت الدولة الزيانية على أنقاض الموحدين وتأثّرهم بهم وبعلمائهم كان واضحا ،فقد اعتنوا بالعلم مثلما اعتنى به الموحدين وشجعوا العلماء على التّأليف في شتى المجالات وفي مختلف العلوم من دينية وأدبية واجتماعية مما دفع بالعلماء إلى الاعتناء بهذه العلوم والتأليف فيها مما جعل الإنتاج العلمي عندهم كثيفا وغزيرا ،فما هي أهم الأغراض الأدبية التي كتب فيها الأدباء الزيانيين ؟

المبحث الأوّل :أغراض النّثر في العهد الزياني :

كانت الحياة الأدبية في العهد الزياني نشيطة لاهتمام الأدباء بالأدب وكَثْرة تآليفهم فيه ، فتنوّعت الأغراض النثرية التي كتبوا فيها من رسائل بأنواعها وخطب ،والعلوم الدينية أيضا كانت لها مكانة فالطابع الديني كان سائدا في العصر الزياني كغيره من العصور والحياة الفكرية فيه كانت متأثّرة بالدين، وعلى هذا الأساس اهتم العلماء والفقهاء بالعلوم الدينية من علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وكانت لهم تآليف عديدة في كل علم من هذه العلوم ،ففي :

علم التفسير :اهتم أدباء تلمسان بالقرآن الكريم ودراسته وحفظه وتفسيره ،فكانور يدرسونه في الكتاتيب والمساجد والمدارس ،ومن أجل الحفاظ عليه كانوا يقرأون عدّة أحزاب يوميا بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب ،ثمّ طهر علم التفسير لنقل الآثار الواردة في القرآن الكريم عن الصحابة والتّابعين فالتفسير هو شرح كلام الله عز وجل ،ويعدّ علم التفسير في مقدمة العلوم الدينية ،ومن أهم التآليف في هذا المجال :"تفسير سورة الفاتحة" و"تفسير سورتي الأنعام والفتح" لسعيد العقباني (ت811هـ)[1] الذي اشتغل بتفسير السور القرآنية وله كذلك "شرح البردة" و"شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين" و"شرح لمختصر بن الحاجب في الأصول"[2] ،و"تفسير سورة الإخلاص وسورة المائدة وسورة

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج:2 -ص:439.

[2]-تاريخ الجزائر العام ،ج:2 ،ص:163.

مريم" لابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) سمّي بفارس التفسير لكثرة تفاسيره واتبع طريقة أسلافه في التفسير أمثال[1] :الزمخشري* وابن عطية* وأبي حيان*.

كذلك "تفسير سورة الفاتحة" و"شرح التلمسانية في الفرائض" و"مقدمة في التفسير" و"منتهى التوضيح في عمل الفرائض" للفقيه أحمد بن زاغو (ت845هـ) .[2] كما فسّر الشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) القرآن الكريم كلّه في مسجده وهو إمام اشتهر بالعلوم الظاهرة وانفرد بالعلوم الباطنة ولاسيما في التوحيد والقراءات والتفسير والحديث ،ومن التآليف أيضا كتاب "الطراز في شرح الخرّاز" للمؤرخ الحافظ محمد بن عبد الله التّنَسي (ت899هـ) ةهو شرح لكتاب محمد بن محمد الأُموي الشريشي الشهير بالخرّاز (ت718هـ)[3] والموسوم بِـ"مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن" وهي عبارة عن أربعمائة وأربعة وخمسين بيتا للرسم منها مائة وأربعة وخمسين بيتا في ضبط القرآن ،نظمها سنة (703هـ) ،اشتهرت في بلاد المغرب واقتصر النّاس غلى حفظها .[4] وكتاب "البدر المنير في علوم التفسير" وكتاب "الفتح المبين" .

أمّا عن **علم الحديث** :وهو حفظ ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وما نقل عن الصحابة ،وفي عهد الزيانيين اهتم أهل مدينة تلمسان كغيرهم من المسلمين

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :440.

* – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم سنة 467هـ.كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب ،واسع العلم ،كبير الفضل متفننًا في علوم شتى .وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة 538هـ.

* – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ولد سنة 481هـ ، مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر.توفي سنة 542 هـ.

* – هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي، كنيته "أبو حيان"،وهي كنية غلبت على اسمه فاشتهر بها ،ولد أبو حيان في بغداد سنة 310هـ. هو فيلسوف متصوف، وأديب بارع، من أعلام القرن الرابع الهجري، عاش أكثر أيامه في بغداد وإليها ينسب.توفي سنة 414 هـ.

[2]- (م.ن) :ج :2 –ص :439.

[3]- هو محمد بن محمد الأُموي ،عالم بالقراءات صاحب كتاب مورد الضمآن .

[4]- (م.ن) :ج :2 –ص :440.

بالسنة ،وعملوا على دراستها والتوسع فيها إلى جانب القرآن الكريم ،وقد كثر عدد الفقهاء الذين يدرسون علم الحديث وأصبحت مؤلّفاتهم تقدر بكمّيات كبيرة .

فمن أهم التصانيف في هذا المجال ،"التعليق على صحيح البخاري" الذي ألّفه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت781هـ) وكذلك علّق "الأربعين في الصحاح" التي أملاها بعد صلاة الجمعة وقبل صلاة العصر ،وله كتاب "تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام" جاء في خمسة أجزاء وهو شرح لكتاب "عمدة الأحكام" لعبد الغني المقدسي الحنبلي .[1]

وتصانيف أبو الفضل محمد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ) في علم الحديث المتمثلو في شرح الجامع الصحيح للبخاري المسمّى "المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح" قيل فيه أنه لم يَرَ الرّاؤون مثله ،وله "أنوار الدراري في مكرّرات البخاري" وأرجوزة "الرّوضة في علم الحديث" جمع فيها ألفية العراقي* وألفية ابن ليون* في ألف وسبعمائة بيت ، وأرجوزة مختصرة سماها "الحديقة" اختصر فيها ألفية العراقي .[2]

وكتاب "مفتاح النظر في الحديث" لأبي عبد الله المغيلي (ت909هـ) وهو كتاب فيه أبحاث عن النووي والتقريب و"شرح المختصر" .[3]

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :443.

*- ألفية العراقي في علوم الحديث المعروف عند أهل العلم بالحديث وعلومه بالتبصرة والتذكرة للإمام الحافظ أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقيّ المتوفى سنة 806 هـ ،وهو من أهم متون علوم مصطلح الحديث المنظومة ،عدد أبياته 1003 بيت .وكان الحافظ العراقي في نظمه هذا يحاول احتواء كتاب ابن الصلاح في علوم الحديث .

*- أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي ،من علماء الأندلس وأدبائها المتقدمين ،وُلد بالمرية في عام 681 هـ ونشأ بها ولم يخرج منها ، وتوفي فيها مريضاً بالطاعون في عام 750هـ.

[2]- تاريخ الجزائر العام ،ج:2 –ص :210.

[3]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :444.

وعلم الفقه :عرّف عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) الفقه بقوله : (هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب و السنة وما نَصَبَه الشّارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه)[1] والفقه يتناول حياة الإنسان الشخصية والدينية والإجتماعية والإقتصادية ،وهو يضع القواعد التي تنظّم حياته.وبذلك اهتم فقهاء وعلماء تلمسان بالتأليف في هذا المجال كغيرهم من فقهاء المغرب والأندلس والمشرق ،حتى كانت لهم تصانيف هائلة عدّها الطلاب والدارسون مصادر ومراجع يعتمدونها والفقهاء في أبحاثهم والقضاة في أحكامهم ،ومن مألّفاتهم في هذا العلم نذكر منها :

ما صنّفه أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام (ت743هـ) وهو مُؤَلّف ضمَّنه شرحا وافيا لمختصر أبي الحاجب في الفروع الموسوم بِـ"شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي"[2] ،كما ألف أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ) شرح كتاب المختصر لابن الحاجب في الفروع سمّاه "إزالة الحاجب لفروع بن الحاجب" و"جنى الجنتين في فضل الليلتين" أي ليلة القدر وليلة المولد النبوي الشريف و"خطب دينية" رتّبها على حروف المعجم[3] .و في الفقه كذلك "شرح البردة" و"شرح مختصر بن الحاجب الأصلي" لشيخ سعيد بن محمد العقباني (ت 811هـ)[4] وكتاب "روضة الأريب في شرح التّهذيب" لابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) وله كذلك "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل" شرح منه الطهارة في مجلدين ضخمين و"اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة" وهو كتاب يتضمّن أجوبة على مسائل في الفقه والحديث وغيرها ،و"الروض البهيج في مسائل الخليج" و"مسائل فقهية" وله "شرح في الأصلين" و"شرح الطّهارة في مجلّدين" و"شرح فرعي بن الحاجب" .[5]

---

[1]- المقدمة –عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ،بيروت ،1968م ،ص :363.

[2]- تاريخ الجزائر العام ،ج :2 –ص :152.

[3]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :449.

[4]- تاريخ الجزائر العام ،ج :2 –ص :164.

[5]- (م.ن) :ج :2 -214.

كما ألّف أيضا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ) "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" في كرّاسين و"مغني النبيل في شرح مختصر خليل" اختصره اختصارا شديدا وصل فيه إلى القسم الخاص بالزوجات والمواضيع المتعلّقة بالبيوع وغيرها ،و"شرح بيوع الآجال من بن الحاجب" و"تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين" و"شرح المختصر" .[1]

ومن التصانيف في الفقه أيضا ما ألّفه أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ) وأشهرها "المعيار المعرب والجامع المغْرب فب فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب"جاء في عدّة مجلّدات و"غَنِيّة المعاصر" و"تعليق على بن الحاجب الفرعي" في ثلاثة أجزاء و كتاب "القواعد في الفقه" و"الفروق في مسائل الفقه" .[2]

وإن دلّت هذه الآثار العلمية وكثرتها على شيء ،فإنّما دلّت على اهتمام علماء تلمسان و فقهاؤها بالعلوم الدينية واجتهدوا على نشرها وتطويرها في تلمسان وبلاد المغرب الإسلامي ،وأنّهم امتازوا بغزارة العلم وسِعة التّحصيل رغم الاضطرابات التي سادت الدولة الزّيانية .[3]

أمّا العلوم الأدبية وبشقّيها من اللغة العربية والأدب ،فقد اهتم الأدباء الزيانيين بها كما اهتموا بالعلوم الأخرى .

فاللغة العربية :وهي من أغنى اللغات السامية وأرقاها باعتبارها لغة القرآن الكريم ،فقد حظيت هي الأخرى باهتمام من قِبل علماء تلمسان وأدباؤها ،فدرسوا البلاغة لارتباطها بالعلوم الدينية من علوم القرآن والحديث ،وعرفت الحركة الأدبية نشاطا كثيفا وازدادت فعاليتها في العهد الزياني ،فكانت

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :449.

[2]- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان –ص :54.

[3]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :451.

تعقد المجالس اللغوية لدراسة النحو والعروض والبيان ،وأُنشئت المناظرات بين أدباء وعلماء اللغة والنحاة للتأكد من سلامة اللسان وخلوّه من التلحين .[1]

ألّف فقهاء تلمسان وأدباؤها وعلماؤها واللغويين في اللغة العربية عدّة تصانيف ،نستعرض أهم المصنفات اللغوية والأدبية :

كتاب "شرح لامية الأفعال" الذي ألّفه محمد بن العباس التلمساني (ت821هـ) في الصرف ، ومصنفات ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) شروحه الثلاثة على "البردة" ،الأكبر المسمى "إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة" والأصغر والأوسط الموسوم بـ"الإستعاب" تطرق إلى مافيها من بيان وإعراب ،وكذلك "المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية" و"المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية في العروض والقوافي" وله كذلك "المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن السراج" و"إيضاح المسالك على ألفية ابن مالك" انتهى فيه إلى اسم الإشارة والموصول في مجلد ، وصنف مجلد آخر شرح فيه شواهد شراحها وصل فيه إلى باب "كان وأخواتها" .ومُؤّلف "الثاقب في لغة ابن الحاجب" للشيخ أبو عبد الله الشريف (ت847هـ) .[2]

تعددت المؤلّفات في اللغة العربية وتنوعت واهتم بها أدباء تلمسان كما كان الحال بالنسبة للعلوم الأخرى .

أمّا بالنسبة **للأدب** :والذي وضع له عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) مفهوما واسعا في مقدمته ،قال :(اعلم أنّ لسان العرب وكلامهم على فنّين ،في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفّى ،ومعناه الذي تكون أوزانه كلّها رَوِيّ واحد وهو القافية ،وفي النثر وهو الكلام غير الموزون ،

---

[1]-تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :452.

[2]- (م.ن) ،ج :2 –ص :452.

وكل واحد من الفنّين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام)[1] وهو في هذا يتفق مع ابن البناء (ت721هـ)* في قوله :(وينقسم القول إلى موزون مقفّى وهو المنظوم ،وإلى القول غير الموزون وهو المنثور ،ويستعمل كل واحد منهما في المخاطبات)[2]

فقد أكد بن البناء وبن خلدون وحدة مفهوم الأدب ونوعيه عندهما ،إذ أنّ الشعر في نظرهما هو القول الموزون ،وما تبقّى فهو نثر ،ويقول بن جعفر أبو الفرج قدامة البغدادي* :(وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا ،ولكل واحد من هذه الوجوه موضوع يستعمل فيه) .ويقول بن خلدون وهو يقسم النير وصور التعبير :(وأمّا النثر فمنه السجع ،الذي يؤتى به قطعا،ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سحعا ومنه المرسل ،وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يُقطع أجزاءا ،بل يرسل إرسالا من غير تعبير بقافية ولا غيرها ،ويستعمل في الخطب والدّعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم) .[3] وهو بذلك يقصد فن الخطابة والرسائل .

فالأدب شعرا ونثرا ،فأمّا النثر ،فهو من الفنون التي ازدهرت في الحقبة الزيانية كان مجاله خصبا وسوقه رائجة خاصة بعد هجرة الأندلسيين إلى تلمسان واستقرارهم بها .

امتاز النثر في العهد الزياني بالنشاط لتشجيع الحكام للأدباء والكُتّاب ،مما دفع بهم للتأليف في فن التعبير واتسم أسلوبهم بالجزالة واللغة السليمة ،وشاع أسلوب السّجع والمحسنات البديعية في المراسلات والخطب ،إلاّ أنّه ومن جهة أخرى ، فالنثر يكاد ينحصر في الرسائل والكتب التاريخية

---

[1]- المقدمة –ص :504.

* - أبو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي ولد سنة 654 هـ في مدينة مراكش وعرف بابن البناء نسبة لجده الذي احترف مهنة البناء ،أسس ابن البنا المراكشي مدرسة علمية مهمة في المغرب ،أكبّت على مدى قرون على تدريس مؤلفاته وشرحها وتداولها في مختلف جامعات العالم .توفي في مدينة مراكش عام 721هـ .

[2]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2–ص :455.

* - قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ،أبو الفرج كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة ،كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده ،وتوفي ببغداد .يضرب به المثل في البلاغة.توفي سنة 337هـ .

[3]- المقدمة –ص :505.

والأدبية ،وذلك لضياع الأغراض النثرية الأخرى ،لاسيما المقامات والخطب وغيرها والتي ضاعت بضياع المصادر .[1]

ولقد بلغ فن الترسل بمدينة تلمسان في العهد الزياني منزلة هامة ،حيث استعمل الكُتّاب لفظة "رسالة" كما استعملوا مصطلح "كتاب" وهو مطابق للرسالة ،وهي تحرر في نسق فنّي جميل وفي غرض من الأغراض وتوجه إلى شخص آخر .

تعددت الرسائل وتنوعت بين السياسية المتمثلة في الرسائل الديوانية وبين الفنية ،فكان منها الرسائل الأدبية أو الإخوانية والتي اشتملت على أغراض كثيرة ،فقد تنوعت الأغراض النثرية التي كتب فيها الأدباء الزيانيين :

فالرسائل الديوانية :(السياسية) وهي النثر العادي ،هي رسائل تختص بشؤون الدولة وتمتاز بالوضوح ، وتتقيد بشروط حدّد عددها بعض الموثقون بخمسة وعشرين شرطا ، منها على سبيل المثال :حفظ القرآن ،الإطلاع الواسع على السنة والأخبار والتواريخ والسير ،حفظ الكثير من الرسائل، المهارة في نظم الشعر ،القدرة على الخَطابة ،الإلمام بالعلوم اللسانية والبلاغة .[2] وهذه الصفات قد ذكرها السلطان أبو حمّو موسى الثاني (ت 791هـ) في كتابه "واسطة السلوك"، يقول: (فصيح اللسان جرئ الجنان بليغ البيان عارفا بالأدب ،بارع الخط عالما بالحل والربط)[3] .

وهذه الرسائل تتضمن مواضيع سياسية ومعاهدات تجارية كان يتبادلها أصحاب تلمسان مع بعض المماليك المسيحية كما لهم مراسلات مع دول المشرق والمغرب ،إلاّ أنّ أغلبها ضاعت ،ومن نماذج هذه الرسائل تلك التي أرسلها السلطان أبو تاشفين الأوّل (ت737هـ) إلى سلطان أرغون

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2-ص :456.

[2]- (م.ن) ،ج :2-ص :457.

[3]- واسطة السلوك في سياسة الملوك –موسى بن يوسف أبو حمّو الزياني العبد الوادي التلمساني .مطبعة الدولة التونسية ،677هـ ،ص :60-61.

جاكمة الثاني تتضمن اتفاق هدنة بين البلدين ،جاء فيها :(سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ،وبعد ،حاد الله العظيم والصلاة على سيدنا ومولانا رسوله المصطفى الكريم والرضا على أصحابه الخلفاء التابعين له عليه السلام على المنهج القويم والصراط المستقيم ،والدعاء لهذ المقام العلي التاشفيني السني بالنصر العزيز ،والفتح العميم فالكتاب إليكم ،كتب الله لكم أصحاب الأعمال وأزكاها وبلغهم من التوفيق نهى الأماني وأقصاها من حضرتنا بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى على خير التام والسير العام والحمد لله كما هم أهله وعن الوعي بجانبكم والاغتباط بمصالحكم والعمل على ما يؤكد أسباب مواصلتكم وبمقتضى وجهنا إليكم ولدكم الزعيم الأنجد الأنهض الأجد المكرم لدينا الأثير عندنا جاكمة ،مع ثقتنا الشيخ المكرم الأمين الحاج أبي يعقوب بن الحواء ،يرسم الصلح بيننا ببينكم على حسب ما في العقود الواصلة صحبتنا إليكم ،وألقينا إليها ما يلقيانه من معاني ذلك كله إليكم ،ويقررانه على الكمال واتمام إليكم إن شاء الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى ،وكتب في سابع عشر رجب الفرد المبارك عام سبعة وعشرين وسبعمائة)[1]

ومن الرسائل التي تحمل في طياتها مسائل سياسية تلك التي وجهها الوزير أبو هلال القطلاني* باسم السلطان أبي تاشفين الأول (ت737هـ) إلى جاكمة الثاني ،ويتعلق الموضوع بتحرير أسرى المسيحيين الموجودين بسجون تلمسان والذين أصبحوا في عداد العبيد ،وهي رسالة جوابية إلى صاحب أرغون ،قال فيها :(أمّا ما أشرتم إليه مِن تسريح مَن عندنا من الأسرى ،فذلك لا يمكن أن يكون ...لأنّ ما عَمَّرَ بلدنا إلاّ الأسرى وأكثرهم صُنّاع مُتفنّنون في أنواع جميع الصناعات ولو طلبتم ما يستغني عنه الحال في تسريح خمسة أوستة لا يسعنا مطلبكم وقضينا أربكم ،وأما تسريح الجميع

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2-ص :458.

* - هو من الأعراج (عناصر من جنسيات أوروبية مختلفة) أحضره المسلمون إلى غرناطة حيث أهداه السلطان الغرناطي محمد الثاني الأحمر (ت701هـ) إلى السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن (ت703هـ) والذي سار إلى السلطان أبو حمّو موسى الأول (ت718هـ) والذي دفع به إلى ابنه إبي تاشفين (ت737هـ) ،وكان قريبا إليه حتى أصبح من خلصائه ،فولاه الحجابة والوزارة .

فصعب لأنّ ذلك يخلي المواضع ،ويعطل مل يحتاج إليه من أنواع الصنائع ،فإن أردتم أن تكون الصداقة بيننا وبينكم ،فيما عدا الأسرى ويكون حالنا وحالكم...)[1]

ومن الرسائل السياسية أيضا تلك التي جاءت في طابع ديني المتعلقة بالوَلاء والمبايعة لأنّ هذه الأخيرة موضوع سياسي معتمد على الدين ،ومن ذلك رسالة السلطان يغمراسن بن زيان (ت681هـ) لنظيرة السلطان الحفصي علي بن إسحاق الحفصي (ت770هـ) بتونس ،موضوعها عن وَلاء بني زيان لبني حفص ،من فقراتها :(المستند إلى ظل حرمتها (الخلافة) الموالي شكر جزيل إحسانها وعظيم منّتها ...سالك العبودية لها سننا واضحا مُوال في خدمتها ،ونصيحتها عملا يعتقد ، صالحا رابحا شاكرا لإحسانها ،الذي لم يزل غاديا عليه رابح ،لا يزال يدب على ذلكم ليله ونهاره ، وينظر إلى ما يوافق رضاها فيتتبع آثاره ...والرضا عن الإمام المهدي المعلوم الباسق في درجة النبوية... وببركة الاستناد إلى الحضرة الكريمة ،أيدها الله تدرك المنى وتنقاد لطالبها الدنا وترتقي المراتب العلى).[2]

أمّا الرسائل الفنية والتي تضمنت الرسائل الأدبية أو الإخوانية .

الرسائل الإخوانية :اشتهر في كتابة هذه الرسائل كُتّاب كُثر وأدباء ذاع صيتهم في هذا الفن ، واشتهر منهم ؛محمد بن خميس (ت708هـ) وابن هدية القرشي (ت736هـ) وابن مرزوق الخطيب (ت781هـ) ويحي بن خلدون (ت780هـ) ومحمد بن يوسف الثغري (ت895هـ) وغيرهم الكثير ، إلاّ أنّ رسائلهم لم يدونها المؤرخون والأدباء ،وإنّما يمكن الإطلاع على فحواها ومضامينها من خلال ردِّ كُتّاب الأندلس عليها ،ولاسيما التي أنشأها الأديب لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) الذي كانت تربطه بأبي عبد الله بن مرزوق الخطيب (ت781هـ) ويحي بن خلدون (ت780هـ) روابط الأخوّة والصداقة والمودّة القوية .[3] كما تنوعت مواضيع هذه الرسائل بين أغراض الوصف والعُتاب

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :459.

[2]- (م.ن) ،ج :2–ص :460.

[3]- (م.ن) :ج :2 –ص :460.

والشكر والتهنئة والتعزية والتشوق والتحية وغيرها ،كما اختلفت تسميتها بين الإخوانية والأخوية والإجتماعية والخاصة والأدبية .

تعددت المراسلات من هذا النوع بين الكُتّاب التلمسانيين وغيرهم من الأدباء في المغرب والأندلس ،ومن ذلك الأديب لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) الذي جمعته المودّة مع بن مرزوق (ت781هـ) ،وهذا الأخير كتب له رسالة يرحب به أثناء قدومه إلى المغرب ،ومن فقراتها :(

يَا قَادِمًا وَافَى بِكُلِّ نَجَاحِ أَبْشِرْ بِمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَفْرَاحِ .

فالحمد لله يا سيدي وأخي على نعمهِ التي لا تحصى ،حمدا يؤمّ به جميعنا المقصد الأسى فيبلغ الأمد الأقصى ،فطالما كام مُعظّم يسدي للأسى في خَبال[1] ،وللأسف بين اشتغال بال ،واشتعال بلبال ،ولقدومكم على هذا المقام المؤلّوي في ارتقاب ،ولمواعدكم بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب ،فها أنت تجتلي من هذا المقام العلي بتشيّعك وجوه المسرّات صَباحا ،وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مُسنَدة صِحاحا ،بحول الله تعالى ،ولِسيدي الفضل في قَبول مركوبه الواصل إليه بسرجه ولجامه ،فهو من بعض ما لدى المعظم من إحسان مولاه وإنعامه ،ولِعَمْري لقد كان وافدا على سيدي في مُستقرّه مع غيره ،فالحمد لله الذي يسّر في إيصاله ،على أفضل أحواله).[2]

وعلى هذا جاوبه لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) برسالة نصها :(

رَاحَتْ تَذْكُرُنِي كُؤوسَ الراحِ والقُربُ يَخفِضُ للجُنوحِ جناحي .

---

[1]- لسان العرب –أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور .مج :11 ،ط:1 ،دار صادر للإنتاج ،1410 ،ص:197.خبال :فساد حرف اللام ،فصل الخاء .

[2]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب –أحمد بن محمد المَقّرّي التلمساني .حققه :إحسان عباس .مج :6 ،دار صادر ،بيروت ،1388هـ ،ص : 64-65.

سيدي أبقاك الله لعهد تحفظه ،ووليّ بعين الوفاء تَلحظه ،وصلتني رقعتك التي أبدعت ،وبالحق من مولى الخليقة صدعت ،وألفتي وقد سطت بي الأوجال[1] ،حتى كادت تتلف الرحال ،والحاجة إلى الغذاء قد شمرت كشح البطين ،والفكر قد غاض مَعينُه ،وضعف وعلى الله جزاء المولى الذي يُعينُه ، فغزتني بكتيبة بيانٍ أسدها هصور[2]،وعلَمها منصور ،وألفاظها ليس فيها قُصور ،ومعانيها عليها الحسن مقصور ،...والسلام على سيدي من معظم قدره ،وملتزم برّه ،ابن الخطيب ،في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي القعدة خمس وخمسين وسبعمائة ،والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان ، وظُنَّ أنّه الطوفان واللحاق في غدها بالباب المؤلَوي مؤمل بحول الله).[3]

ومن ذلك **رسائل التشوق والتحية** :وهي رسائل يعبر فيها المرْسِل عن اشتياقه للمرسَل إليه ، ومنها رسلة كتبها أبو عبد الله بن الخطيب (ت776هـ) لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) ، وحسب قول بن خلدون :وصلني مع هذه الكُتب السلطانية كتابُ رسالة من الوزير أبي عبد الله بن الخطيب (ت776هـ) من غرناطة يتشوق إليّ ،وتأدّى إلى تلمسان على يد سفراء السلطان بن الأحمر،فبعث إليّ به منهناك ونصّه :(أمّا الشوق فحدّث عن البحر ولا حرج ،وأمّا الصبر فاسأل به أيّة درج ،بعد أن تجاوز اللّوى والمنعرج ،لكن الشّدة تعشق الفرج ،والمؤمن ينشق من رَوْحِ الله الأَرَج، وأنّى بالصبر على إبر الدّبر ،لا بل الضّرب الهِبْر[4] ،ومطاولة اليوم والشهر ،تحت حكم القهر ،ومن للعين أن تسلوَ سُلوَّ المقصر ،عن إنسانها المصبر ،أو تذهل ذهول الزاهد ،عن سرّها الرّائي والمشاهِد ، وفي الجسد بَضْعةٌ يَصلُح إذا صلُحت ،فكيف حاله إن رحلت عنه وإن نزحت ؛وإذا كان الفِراق ، هو

---

[1]- لسان العرب ،مج :11 ،ص :722 ،الأوجال :الفزع والخوف ،حرف الام ،فصل الواو .

[2]- (م.ن) ،مج :4 ،ص :264 ،هصور :يكسر ويميل ،هصر أي كسر ،حرف الراء ،فصل الهاء .

[3]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،مج :6 –ص :67.

[4]- لسان العرب –مج :4 ،ص :247 ،الهبر :الذي يلقي قطعة من اللحم ،حرف الراء ،فصل الهاء .

الحِمام الأوّل ،فعلام المعوّل ؟أعيتُ مُراوضَتَ فِراق ،عمل الرّاقِ ،وكادت لوعة الإشتياق ،أن تقضي إلى السِّياق ...).[1]

أمّا **رسائل التعزية** :هي رسائل تتمثل في وصف حالة النفس عند تلقيها نبأ وفاة الأقارب أو الأصدقاء ،"كما تحمل في طيّاتها الدّعاء للفقيد والتسليم بالقضاء والقدر ومحاولة التخفيف والتهوين من أثر حادثة الوفاة على الحيّ"[2] وأحيانا تمتزج رسائل التعزية بالتهنئة خاصة إذا كان المتوفّى سلطان ، فيعزّي وَليَّ العهد ويهنّئه في نفس الوقت باعتلاء العرش .ومن ذلك رسالة بن خطّاب (ت686هـ) للأمير سعيد عثمان يغمراسن (ت681هـ) بمناسبة وفاة والده واعتلائه الحكم ،نصّها :(وقد كان من وفاة مولانا السلطان أبي يحي والدكم ،ما جرى به القدر وشاب لأهله صَفْوَة الحياة الكَدَرُ ،وملأ القلوب حزنا وصيَّر سبيل العزاء وعرا حزنا ،فياله رَزْءًا فادحا وثكلا جرى بنا في ميدان الأسى جامحا ، ونفض العيش وعلم الحليم الوقور الطيش ،وصار شجًا في الصدر معترضا ،فلو قاومته نفوسُنا لفديناه بها عن طوعٍ منّا ورضا ...) ويضيف في **غرض التهنئة** ؛(هنّأ الله مولانا هذا الصُنع الذي نسخ كل كرب وأدخل النور في كل قلب ،وأَجَل الصنائع موقعا وأنورها مطلعا ،ما أهدى الجدل إلى الصدور ومحا أثر الحزن منها بيَدِ السرور وأَعْقَبَ التعزية التهنئة كما عقب الظلام بالنور).[3]

أمّا في **غرض العُتاب** :الرسالة التي بعث بها أبو عبد الله بن الخطيب (ت776هـ) لعبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ) ،وهي تتمة للرسالة التي سبق ذكرها في غرض الشوق ،فهو في هذه الرسالة يعبر عن شوقه لابن خلدون وفي الشأن نفسه يُعاتبه على طول الفِراق ؛يقول بن الخطيب في الرسالة : (فلولا عسى الرجاءِ ولعَلَّه ،لا بل شفاعة المحِلِّ الذي حلَّهُ ،لنشرت ألوية العَتب ،وبثَثْتُ كُتائِبَها، كُمَناء في شعاب الكتب ،تهزُّ من الألِفات رماحاً خُزرَ الأَسنّة ،وتوتّرٍ من النونات أمثال القِسِيِّ المرِنَّة وتقود

---

[1]- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا –عبد الرحمن بن خلدون ،منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ،1979م ،ص :112-113.

[2]- أدب الرسائل في المغرب العربي –الطاهر توات ،ديوان المطبوعات الجامعية ،1993م ،ص :291-192.

[3]- تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 –ص :462.

من مجموع الطِّرسِ[1] والنِّقس[2] بُلقاً[3] تردي في الأعنّة ،ولكنه آوى إلى الحرم الأمين، وتفيّأ ظلال الجِوار المؤمّن مِن مَعَرّة الغِوار عن الشمال واليمين ،حرم الحِلال المزنيَّة ،والظلال اليَزَنيَّة ، والهِمم السنيَّة والشِّيم التي لا ترضى بالدّون والدَّنِيَّة ،حيث الرِّفد الممنوح ،والطير الميامين يُزجَر لها السُّنُوح والمثوى الذي إليه ،مهما تقارع الكرام على الضيفان ،حول جوابي الجِفان فهو الجُنوح). وختم هذه الرسالة أخيرا بقوله :(تولاّك الله فيما استضفت وملكت ،ولا بعُدت ولا هلكت ،وكان ذلك أيَّة سلكت ، ووسمك في السعادة بأوضح السِّمات ،وأتاح لقاءك من قَبْلِ المَمَات والسلام الكريم يعتمد حِلال ولدي ،وساكن خَلدي ،بل أخي وإن اتقيت عَتبه وسيدي ،ورحمة الله وبركاته ،من مُحبِّه المشتاق إليه محمد بن عبد الله بن الخطيب ،في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ،من عام سبعين وسبعمائة).[4]

وفي **غرض الوصف** :هذا الغرض اعتمده العديد من الأدباء فقد وصفوا المدن التي زاروها ،ومن جامع ذلك وصف محمد بن محمد العبدري لمدينة تلمسان والذي قال فيها :(وتلمسان مدينة كبيرة سهلة جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور ،ولها جامع عجيب مليح متسع ،وبها أسوار قائمة ،وأهلها ذوو ليانة ،ولابأس بأخلاقهم ،وبظاهرهم في سند الجبل موضع يعرف بالعَبّاد وهو مدفن الصالحين وأهل الخير .وبه مزارات كثيرة ،ومن أعظمها وأشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله ورضي الله عنه ورزقنا بركته وعليه رباط مليح مخدوم مقصود والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار ،وسوره من أوثق الأسوار وأصحها ،وبه حمامات نظيفة من أحسنها وأوسعها وأظفها حمام العالية وهو مشهور ،قل أن يُرى له نظير ،وهذه المدينة بالجملة ذات منظر ومخبر وأقطار متسعة ومبانيها مرتفعة ولكنها مساكن بلا ساكن ،ومنازل بلا نازل).[5]

---

[1]- لسان العرب –مج :6 –ص :121 ،الطِّرس :الصحيفة ،حرف السين ،فصل الطاء .

[2]- (م.ن) ،مج :6 –ص :240 ،النّقس :المداد حرف السين ،فصل النون .

[3]- (م.ن) ،مج :10 –ص :25 ،بُلقًا ،هو الفرس الذي لونه سواد وبياض حرف القاف ،فصل الباء .

[4]-التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا –ص :115-124.

[5]- الرحلة المغربية –ص :27-28.

وفي **غرض التحية** :كانت بين لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) ويحي بن خلدون (ت780هـ) مراسلات ،بعدما تولّى بن خلدون وظيفة الكتابة لدى السلطان أبي حمّو موسى الثاني (ت791هـ) ،قال :وممّا خاطبة به الفقيه أبا زكريا يحي بن خلدون لما ولي الكتابة عن عند السلطان أبي حمّو موسى سلطان تلمسان من بني زيان واقترن بذلك نصر وصنع غبطته به وأَشَدْتُ به قصد تنفيقه وإنهاضه لديه :(نخص الحبيب الذي هو في الإستظهار به أخ وفي الشفقة عليه ولد، والولي الذي ما بعد قُرب مثله أمل ولا على بُعده جَلَد ،والفاضل الذي لايخاف في فضله ساكن ولابلد ، أبقاه الله تعالى وفاز فوزه وعِصمته لها من توفيق الله سبحانه عمد ،ومورد سعادته المسوغ لعادته لا غور ولا ثمد ،ومدى إمداده من خزائن إلهام الله تعالى وسَداده ليس له أَمَد ،وحَمَى فرح قلبه بمواهب من ربه أن يطرقه كمد .

تحية مُحِلّه ،من صميم قلبه بمحلّه ،المنشئ رواق الشفقة ،مرفوعا بعمد المحبّة والمِقَة ،فوق ظعنه وحلّه ،مؤثره ومُجِلّه ،المعتي بدقّ أمره وجلّه ،ابن الخطيب ،من الحضرة الجهادية غرناطة ،صان الله تعالى خلالها ،ووقى هجير هجر الغيوم ظلالها ، وعمَّر بأسُود الله أغيالها ،كما أغرى بمن كفر بالله تعالى صيالها ...).[1]

ومن المراسلات التي شاعت أيضا في المغرب الوسيط في العهد الزياني ؛مراسلات علمية وتبادل المصنفات بين العلماء في المغرب الأوسط والأندلسيين الذين كلنت تجمعهم علاقة طيبة ،مبنية على تبادل الآراء والفتوى والتشاور في أمور الفقه والإستفسارات في أمور شتّى .فكان كلّها استعصى أمر على علماء الأندلس ؛استفسروا فيه علماء المغرب الأوسط ،بما فيهم العالِم الأندلسي الشهير أبو سعيد بن لب الغرناطي (ت782هـ)* الذي كان يبعث بالمسائل التي تستصعب عليه إلى أبي عبد الله

---

[1] – نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب –مج :6 ،ص :396.

* – أبو سعيد بن فرج بن قاسم بن لب البغرناطي ،إمام غرناطة ومفتيها وعالمها ،ولد سنة 701هـ ،هو من كبار العلماء والمحققين ،له عدّة مؤلّفات والفتاوي المشهورة ،أخذ عن عدّة علماء أمثال ؛لسان الدين بن الخطيب وبن زمرك وغيرهم ،توفي سنة 782هـ .

الشريف التلمساني (ت771هـ) .كذلك لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) كلما ألّف كتاب بعثه إلى الشريف التلمساني (ت771هـ) ،ليعرضه عليه ويطلب رأيه كما يطلب منه أن يكتب قيه بخطّه .

ومن ذلك أنّ طلبة غرناطة كانوا يبعثون إلى ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ) برسائل في أمور عدّة يطلبون فتواه وإجابته عليها ،ومثال ذلك أنّه حصل نزاع بين الطلبة في أمر الطهارة ،فكتب أحد الطلبة رسالة لابن مرزوق يطلب منه النظر في خلافهم هذا ؛من نصّها :(...شيخنا ووسيلتنا إلى الله تعالى ،سيدي محمد بن مرزوق ،أدام الله للإسلام حياته ،وحفظ في الوجود أوقاته ،...تلميذكم أحمد الحَسَني لَطُفَ الله به ،وبعد :فالذي أطلب منكم النظر في جوابنا على الفرق بين مسألة المتيمّم يطلع عليه إنسان وهو في الصلاة معه ماءه ،يتمادى (يواصل الصلاة) ولا يقطع ...).[1]

وكان حال نفسه مع العديد من علماء المغرب الأوسط يبعثون إلى علماء الأندلس ،في أمور عدّة سواء من استفسارات أو طلب العون ،على سبيل المثال ما فعله أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب (ت781هـ) حيث بعث إلى علماء وشعراء أندلسيين عندما شرع في شرح كتاب "الشفا للقاضي عياض" ،إذ طلب منهم أن يكتبوا له مدحا فيه ،وفعلا قد لقى ردا من أبو عبد الله بن زمرك (ت797هـ)* بقصيدة جاء فيها :

وَلاَمِثلِ تَعريف الشِفا حُقُوقَه فقدْ بانَ فيه للعُقولِ جَميعُها .

---

[1] – الدرر المكنونة في نوازل مازونة –أبو زكرياء يحي المغيلي المازوني .ت ،حسّاني مختار .ج :1 ،نشر مخبر المخطوطات ،جامعة الجزائر ،2004م ،ص : 142 .

* – محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحي المكنى بأبي عبد الله ويعرف بابن زمرك أصله من شرق الأندلس وسكن سلفه بريض البيازين غرب غرناطة وبها ولد سنة 733هـ ،عمل كاتب لدى السلطان أبي سالم المرين والسلطان النصري محمد الغني بالله ،اتهم بعدّة تهم فقتل سنة 797هـ مع خدمه وأبنائه .برز في عدّة فنون ولاسيما في الأدب وخاصة الشعر .

وسبق وأشرنا أنّه كان من سلاطين الدولة الزيانية الأديب والكاتب ،ومن هؤلاء السلطان أبو حمّو موسى الثاني (ت791هـ) الذي ألّف كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"* أتحف به ابنه كما قال في مقدمة كتابه :(فرأينا أولى ما نتحف به وليَّ عهدنا ،ووارث مجدنا ،والخليفة إن شاء الله تعالى من بعدنا ،وصايا حكمية ،وسياسة عملية علمية ،مما تختص به الملوك ،وتنتظم بها أمورهم انتظام السلوك ،ولذلك سَميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في سياسة الملوك)[1] ،والوصايا هي نوع من أنواع النثر الذي ظهر في هذا العهد .

ومن تلك الوصايا التي أفاد بها السلطان أبو حمّو موسى الثاني ابنه في كتابه ؛توصية ترشد إلى الاتصاف بالعدل والتحلي بالفضل :(اعلم يا بني أنّ العدل سراج الدولة فلا تُطف سراج العدل بريح الظلام ،فإنّ ريح الظّلم إذا عصفت قصفت ،وريح العدل إذا هبّت رَبت ،ومن شروط الإمارة العدل في الأحكام ،والرِّفق بالأنام ،والتجنّب عن الحرام ،والصّبر في الشّدايد ،والجري على أحسن العوايد ، فإنّ صلاح الدّولة بقواعدها ،وفسادها بخرق عوائدها ،يا بني إلبس ثياب العفّة ،وترد رداء الوقار ، وتتوّج بتاج الحياء ،وتزيّ بزيّ السكينة ،وتقلد بصارم العدل ،وتحلّ بحِليَة الكرم ،وتختّم بخاتم الهيبة .يا بني التزم الصبر عند الشّدة ،والعفو عند المقدرة ،واظهر المحَبَّة لمن تحب ،ولا تُفش البُغْضَ لمن تكره ،يا بني إياك والإعجاب ،فإنّه للملك خطأ غير صواب ،ومن أُعجب بنفسه ،قرُب من رَمْسِه ،يا بني أربعة لا يزول معها المِلك حُسن التّدبير في الأمور ،والعدل في الخاصة والجمهور ،والأخذ بالحَزم ، والصبر في الأزم ،يا بني أربعة لا يَثبُت معها مُلك سوء التّدبير ،ومخالفة النصيح والمشسر ،وخَبَث السريرة والنية ،والجَوْرِ على الرَّعِيَة ...)[2]

---

* – ألّفه حوالي 765هـ ،أودع فيه آراء سياسية وضمنه بعض قصائده الشعرية .

[1] – واسطة السلوك في سياسة الملوك –ص :3 .

[2] – (م.ن) :ص :4-5 .

وممّا يتصل بفنون النثر الزياني فن الخَطابة الذي اهتم به الأدباء حيث اشتهر به جملة من المبدعين أمثال :ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) الذي وَلِيَ الخَطابة عن جدّه وعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) الذي تولّى وظيفة التدريس بإحدى مدارس مصر ؛قال :(وكنت لأوّل قدومي على القاهرة ،وحصولي في كفالة السلطان ،شَغَرتُ مدرسة بمصر من إنشاء صلاح الدين بن أَيُّوب ، وقفها على المالكية يتدارسون بها الفقه ،ووقف عليها أراضي من الفَيُّوم* تُغِلّ القمح ،فسميت لذلك القمحية ؛كما وقف أخرى على الشافعية هناك ؛وتوفي مدرّسها حينئذ ،فولاّني السلطان تدريسها ...وحضرني يوم جلوس للتدريس فيها جماعة من أكابر الأمراء تنويها بذكري ،وعناية من السلطان ومنهم بجانبي ؛وخطبت يوم جلوسي في ذلك الحفل بخطبة ألممت فيها بذكر القوم بما يناسبهم ،ويوفي حقّهم ،ووصفت المقام ،وكان نصها :الحمد لله الذي بدأ بالنِّعَم قبل سُؤالها ،ووفّق من هَداه للشّكر على مَنالِها ،وجعل جزاء المحسنين في مَحَبّتِه ،فَفَازُوا بعظيم نَوالِها ...

أمّا بعد فإنّ الله سبحانه لما أقرّ هذه المِلّة الإسلامية في نِصابِها ،وشفاها من أدوائِها وأوصابِها* ، وأورث الأرض عبادهُ الصالحين من أيدي غُصّابها ...ثمّ اختار لها الملوك يرفعون عمدها ،ويقيمون صَغَاها* بإقامة السياسة وأَوَدَها ،ويدفعون بعزائمهم الماضية في صدر من أرادها بِكَيادٍ أو قصدها ، فكان لها بالعلماء الظُّهور والإنتشار ...ولها بالملوك العِزُّو الفَخَار ...

ولا كدولة السلطان الظّاهر ،والعزيز القاهر ...سيد الملوك والسلاطين ،كافل أمير المؤمنين ،أبو سعيد أمدّه الله بالنّصر المصاحب...فأقامني السلطان –أيده الله–لتدريس العلم بهذا المكان ،لاتقدّما على الأعيان ،ول رغبة من الفُضلاء من أهل الشان ...وأنا أرغب من أهل اليد البيضاء ،والمعارف

---

* – تقع الفيوم في مصر وهي من إحدى مُحافظاتها وهي تقع إلى الشمال من الصعيد ومن ضمن إقليمها .وتقع الفيوم إلى الجهة الجنوبيّة الغربيّة من مدينة القاهرة في الصحراء الغربيّة، وهي بذلك تحاط بالصحراء من كل جوانبها ماعدا من الجهة الجنوبيّة الشرقيّة .تعني الأرض المستصلحة.

* – لسان العرب –مج :6 –ص 798 ،أوصابها :الأسقام والأمراض ،حرف الباء ،فصل الواو .

* – (م.ن) ،مج :8 –ص :438 ،صغاها :الميل .

المتسعة الفضاء ،أن يلمحوا بعين الارتضاء ،ويتغمّدوا بالصّفح والاغضاء ،والبضاعة بينهم مُزجاة* ... والله تعالى يرفع لمولانا السلطان في مدارج القَبول أعماله ،ويُبلِّغه في الدارين آماله ،ويجعل للحُسنى والمقَرّ الأسنى ،منقلبه ومآله ؛ويُديم على السادة الأمراء نعمته ،ويحفظ على المسلمين بانتظام الشّمل دولتهم ودولته ...ويشمل الحاضرين برضوانه في هذا اليوم السعيد ،بمنّه وكرمه).[1]

تنوعت موضوعات النثر في العهد الزياني ،وتناولها العديد من الكُتّاب من داخل المغرب الأوسط وخاصة تلمسان التي أصبحت تستحضر الطلاب والعلماء وأهل العلم بصفة عامّة ،وهذا لحرص حكام بني زيان ،وفقهاء تلمسان على الرحلة التي شملت رحلة الحج ورحلة طلب العلم التي ضمّت بلاد المشرق ومصر على وجه الخصوص ،(حيث كان سلاطين المماليك يَخُصون الوافدين إليهم بالعناية خاصة إذا كانوا من بلاد المغرب ووفّروا الظروف المناسبة لطلبة العلم والحجيج الذين كانوا يقصدون المراكز الثقافية كالقاهرة والإسكندرية أو الحجاز ،ممّا حفّز المغاربة على التوجه إليها للأخذ عن العلماء والتعرّف على مناهجهم وعلومهم)[2] ،كما شملت كذلك بلاد الأندلس وتونس والمغرب وبالخصوص مدينة فاس التي كانت من أبرز الحواضر للتبادل الفكري بين العلماء .ورغم الحالة السياسية التي شهدتها معظم الأقطار الإسلامية ،إلاّ أنّ الرحلات أنتجت تبادل المعارف في شتّى العلوم من عقلية ونقلية ،فكان علماء المغرب يتبادلون المصنّفات والكتب مع علماء المشرق والأندلس،وهذه الحركة ظلّت مستمرة بين فاس وتلمسان وتونس وغرناطة والشام والعراق والحجاز لتحصيل العلوم والتعمّق فيها أكثر .

الرحلة للحج :ينطلق المغاربة من المغرب الأوسط لإقامة فريضة الحج ،وكان الحجيج من عدّة فئات ،فكان منهم الطلبة والعلماء الذين اختلف هدفهم عن هدف البقية ،ألا وهو لقاء العلماء

---

* – لسان العرب ،مج :2 –ص :366 ،مزجاة :قليلة .

[1]– التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا –ص :305-312 .

[2]– المقدمة –ص :778 .

وتبادل المعارف معهم والإستفادة من علومهم .حيث كان الطلبة والعلماء عند مرور قافلة الحج بمصر تتوفر لهم فرصة إلتقاء المشايخ والفقهاء والعلماء المصريين الذين ذاع صيتهم في المشرق والمغرب ،وبهذا يتم التبادل المعرفي بينهم ،وعند العودة ينشرون أخبار مصر والعلماء في المغرب[1] ،ومن ذلك الرحلة المغربية للعبدري (ت720هـ) التي كان الهدف منها هو أداء فريضة الحج ثمّ اتسعت رغبته لتصبح غاية في لقاء الشيوخ والعلماء فكان دائم البحث عنهم كلّما حطّ بمدينة جديدة .وهذه الرحلة جاءت في كتاب واحد متوسط الحجم عدد صفحاته تتراوح بين 137 و549 دوّن فيه العبدري مشاهداته وآرائه عن المناطق التي زارها ووصف أحوال البلدان التي مر بها من سياسية وثقافية وعلمية كما ضمّن رحلته بنصوص نثرية وشعرية .

فكانت رحلة الحج بمثابة فرصة ثمينة لتمازج أفكار العلماء المغاربة والمشارقة ،كما وفّرت لهم فرصة التعارف شخصيا بعدما كانت التعارف بينهم عن طريق المؤلّفات والمراسلات المتبادلة بينهم .

والرحلة للعلم :لقد اعتمدها كل الكتّاب والعلماء والفقهاء والشيوخ نظرا لحرص الحكّام الزيانيين عليها ،وطلب العلم عندهم كان من أسمى الأمور والتي سعى إليها كل حكّام هذا العهد .

فكان الأدباء والفقهاء التلمسانيين يرتحلون إلى تونس للتحصيل من شيوخ الزيتونة وإلى فاس للإجازة عن علماء القرويين وبالمقابل نشر علومهم وما توفّر عندهم من معارف ،فشيوخ تلمسان تميّزوا بالقراءات المتنوّعة لكتب الحديث وأمهات كتب السنة والمسانيد الموطأ ،ومثال ذلك عبد الرحمن ابن خلدون(ت808هـ) الذي شَغِر وظيفة التدريس بإحدى مدارس مصر بطلب من السلطان

[1] - رحلة القلصادي – ص :135 .

الظاهر برقوق(ت801هـ)* عند عودته إلى مصر ،والذي قام بتدريس كتاب الموطّأ للإمام مالك بن أنس ، وقال في ذلك :(وقد رأيت أن أقرّر للقراءة في هذا الدرس ،كتاب الموطّأ للإمام مالك بن أنس ، رضي الله عنه ،فإنّه من أصول السنن وأمهات الكتب ،وهو مع ذلك أصل مذهبنا الذي عليه مدار مسائله ،ومَنَاط أحكامه ،وإلى آثاره يرجع الكثير من فقهه).[1] فكانت لهم البراعة في رواية الحديث ، وكان الفقهاء والأدباء التلمسانيين يتزودون بالمعارف من المشرق ويعودون بها إلى بلادهم ، كما يحضرون المؤلّفات والمختصرات المشرقية والأندلسية إلى المغرب وعواصمها لتدريسها للطلبة المغاربة ، ومن بين هذه المؤلّفات :مختصر ابن الحاجب في الأصول والفروع ،أحضره أبو علي ناصر الدين المشدالي (ت731هـ) إلى بجاية فقرأها على طلبة مدارسها ،ثم نقله تلميذه أبو موسى عمران ابن موسى المشدالي (ت745هـ) إلى تلمسان ،كما أدخل الفقيه محمد بن الفتوح التلمساني (ت818هـ) مختصر الخليل ابن إسحاق المالكي إلى بلاد المغرب ،كما دخلت كتب عبارة عن شروح ومختصرات إلى تلمسان وبلاد المغرب .[2]

وإلى جانب هذه الفنون النثرية كان هناك أيضا مايعرف بالمناظرات العلمية وهي من النشاطات العلمية التي ميزت هذه الفترة .كانت تجري بين العلماء في المجالس العلمية والتي يشرف عليها حكام بني زيان وذلك بهدف تشجيع التنافس العلمي واستحضار العلماء من كل بلاد المغرب .

والمناظرات هي تحاور علمي شفهي أو كتابي تعرف بحدّة الجدل بين العلماء الكبار وذلك لإبراز نظرتهم في قضايا أثارت اهتمام العامة والخاصة ،وذلك وفق آداب ومقاييس علمية مضبوطة تناولها ابن خلدون في مقدمته ؛فقال في آداب الجدل والمناظرات :(وكيف يكون حال المستدلِّ والمجيب ،

---

* – السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن انس بن عبد الله الشركسي،وُلد سنة 740 هـ وقدم للقاهرة وعمره 20 عاما ليلتحق بالجيش المصري حيث أتقن فنون الحرب والفروسية، وترقّى في المناصب العسكرية ورُتب الإمارة حيث أصبح أمير طبلخانه، ثم أمير آخور ثم أتابكا عام 779 هـ .توفي يوم الجمعة 15شوال 801 هـ وعمره 60 عاما، وقد بكاه الناس لعدله ورفقه برعيته. وكان من مآثره، إبطال الضرائب على الثمار والفواكه، وبناء مدرسة وخانقاه ومدفن الظاهر برقوق وجسر الشريعة على نهر الأردن.

[1]– التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا –ص :328 .

[2]– تلمسان في العهد الزياني ،ج :2 ،ص :328 .

وحيث يُسوَّغُ له أن يكون مستدلاً ،وكيف يكون مخصوما منقطعا ،ومحل اعتراضه أو معارضته ،وأين يجب عليه السكوت ولِخَصمه الكلام والاستدلال .ولذلك قيل فيه أنّه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب ،في الاستدلال ،التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه).[1]

كما تنافس الزيانيون بالمغرب الأوسط مع نظرائهم في المغرب الأقصى وفي المشرق الإسلامي وهي مناظرات تظهر مستوى علماء تلمسان في منافسة علماء المغرب والمشرق ،ومن هذه المناظرات :

المناظرات المحلية :

من أبرزها مناظرة عبد الرحمن بن الإمام (ت743هـ) وعمران المشدالي (ت745هـ) : جرت هذه المناظرة في مجلس السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن (ت737هـ) ،رواها المَقَرِّي (ت795هـ) وسجلها الونشريسي (ت914هـ)* في كتابه "المعيار" .والتي كان موضوعها

الفقيه ابن القاسم* بين التقليد والاجتهاد .

يقول عبد الرحمن بن الإمام :إنّ ابن القاسم مقلد مقيد بالنظر بأُصول مالك .

---

[1]- المقدمة –ص :556 .

* - أحمد بن يحي الونشريسي المعروف بأبو العباس الونشريسي ولد سنة 834هـ من علماء الجزائر الأعلام وفقهائها البارزين في القرن التاسع الهجري. وسمي بالونشريسي نسبة إلى موطنه الأصلي بجبال الونشريس.من أشهر مؤلّفاته كتابه المعيار المُعْرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، وهو من أعظم الكتب التي كادت تحيط بمذهب الإمام مالك، والكتاب مطبوع متداول، وقد طبع بفاس في 12 مجلدا ، جمع فيه فتاوى ونوازل ونصوصا ذات أهمية بالغة في معرفة الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والاقتصادية في المغرب والأندلس في عصور مختلفة، قال صاحب نيل الابتهاج (جمع فأوعى وحصل فوعى).

* - هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم ولد سنة 132هـ صحب الإمام مالكاً عشرين عاماً،من أشهر تلامذته ومن أعظم الأئمة بمصر وبفضله انتشر المذهب في المغرب وقد جمع بين العلم والزهد ،شهد له أئمة الحديث كالإمام البخاري والإمام النسائي بالثقة والصلاح وحسن توفي بالقاهرة سنة 191هـ .

ويقول عمران المشدالي :إنّه مطلق الاجتهاد وأصبح له مخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه ما ليس من قوله وأتى بنظائر كثيرة وقال :فلو تقلد بمذهبه لم يخالفه لغيره .

وقال عبد الرحمن بن الإمام :اجتهاده مخصوص بالنظر إلى مذهب مالك مثل الإمام المزني بالنظر إلى مذهب الشافعي .

فقال أبو موسى عمران المشدالي :هذا مثال والمثال لا يلزم صحته فصاح أبو زيد وقال لا أبي عبد الله أبي عمر :تكلم لا أعرف ما أقوله هذا الفقيه الذي أذكره من كلام أهل العلم إنّه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل .

قال أبو موسى السلطان :هذا الكلام أصولي محقق .فتدخل الإمام أبو عبد الله المقَرّي وهو حديث السنن :ما أنصفتما الرجل فإنّ المثل كما تؤخذ من جهة التحقيق تؤخذ على جهة التقريب.[1]

إنّ المناظرة تدل على الجو العلمي الذي كان يوفّره سلاطين بنو زيان لتشجيع العلماء وإحياء روح المنافسة بينهم .

المناظرات مع المشرق الإسلامي :

أشهرها مناظرة ابني الإمام "أبو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت743هـ)" وأخوه "أبو موسى عيسى ابنا الإمام (ت749هـ)" :

[1]-المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب –أبو العباس أحمد بن يحيى الويشريسي .ج :11 ،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ،الرباط ،1401هـ ،ص :383 .

رحلا ابنا الإمام إلى المشرق سنة 720هـ وكانت لهما مناظرة مع تقي الدين أحمد بن تَيْميَّة (ت728هـ) والتي لم تشر المصادر إلى موضوعها* .”قال تلميذهما المقَرِّي وقد سمعت عليهما وناظرا تقي الدين بن تيمية فظهرا عليه"

ابن تيمية من كبار الفقهاء في عصر المماليك ،خالف بآراؤه الفقهية الاجتهادية علماء المذاهب الأربعة ويقول الذهبي* :(كان قوالا للحق نهاء عن المنكر وكان يحتج للمسائل المفردة بالقرآن والحديث ،والقياس ويبرّرها ويناظر عليها ويطيل الحديث)

اجتهد الشيخ ابن تيمية في مسائل عدّة من بينها مسألة الطلاق الثلاث في لفظ واحد لا يقع والتي أحدثت ضجّت كبيرة سنة 720هـ وهي سنة انتقال ابنا الإمام إلى مصر ،وهذا ما يرجّح أنّ موضوع المناظرة كان الطلاق الثلاث ،هذا المجلس عقد بحضرة ممثل السلطان محمد بن قلاوون* والقضاة والمفتون من المذاهب الأربعة والذين عاتبوه على فتواه وكان الحكم عليه بالسجن ،وقد يكونا ابنا الإمام قد دافعا عن رأيهما من قول جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة ومنهم الإمام مالك وقالا: إنّ الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا وتبين له المرأة بينونة كبرى فلا تحل لزوجها المطلق إلا إذا تزوجت زوجا آخر غيره .

---

* – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني ولد سنة 661هـ فقيه وعالم مسلم مجتهد شديد التأثر بأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وتميزت أعماله باعتماد نص الكتاب والحديث وترجيحه على العقل والقياس.لقب بابن تيمية وجاء في هذا اللقب عدة أقوال أبرزها أن جده محمد بن الخضر كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة، فنُسب إليها، وعُرف بها.توفي سنة دخل السجن في شهر شعبان سنة 726هـ.بسبب مسألة المنع من السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين .ومكث فيه حتى مرض ابن تيمية قبل وفاته بعشرين يوما .وقد مات في ليلة يوم الإثنين لـ20 من ذي القعدة سنة 728 هـ.

* – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي محدث وإمام حافظ.ولد سنة 673هـ .سُمي الإمام الذهبي بالذهبي لانه كان يزن الرجال كما يزن الجوهرجي الذهب.

* – الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية ولد بالقاهرة في 684 هـ لقب بأبو المعالي وأبو الفتح توفي يوم الخميس 20 ذي الحجة سنة 741 هـ، توفى الملك الناصر بعد أن حكم البلاد ثلاث واربعون سنة ودفن بعد العشاء مع أبيه قلاوون في القبة المنصورية بالقاهرة .

فانتصرا ابنا الإمام على ابن تيمية وهذا الانتصار زاد من شهرتهما في المشرق .[1]

المناظرات مع غير المسلسين :

وموضوعها الرسالة المحمدية :التي جرت بين الإمام سعيد العقباني (ت854هـ) ويهودي باحث في العلوم الإسلامية :

يقول اليهودي :ما دليلكم على عموم رسالة نبيكم .

فردّ عليه سعيد العقباني :بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم للأحمر والأسود .

وأضاف اليهودي :هذا خبر أحاد لا يفيد إلاّ الظن والمطلوب هو القطع .

فكان ردّ الإمام العقباني أن دعّم قوله بآية من الذكر الحكيم :قال الله تعالى :«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ»[2]

قال اليهودي :هذا لا يكون حجة إلاّ على القول بصحة تقدم الحال على صاحبها المجرور ،وأنا لا أقول بصحته .

والمناظرة لم تذكرها المصادر كاملة ،ويمكن أن نستنتج منها أنّ العلماء المسلمين كانوا يتعايشون مع الأديان ويتحاورون فيما بينهم .[3]

---

[1]- نيل الإبتهاج ،مج :1 –ص :167 ..

[2]- سورة سبأ ،الآية :28 .

[3]- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج –أحمد بابا التنبكتي .ت :أ.محمد مطيع .ج :1 ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ، 1421هـ ،ص :161 .

إنّ المناظرات العلمية كانت بمثابة وسيلة فعالة منظمة للرّد على أهل المذاهب المحرّمة في البلدان الإسلامية ،كما كانت فرصة تمكن العلماء من خلالها تبادل الآراء ونقاش الأفكار في العلوم المختلفة.والحكّام الدولة الزيانية عملوا على إحياء مجالسهم بالمناظرات وتحت إشرافهم دعما منهم للعلم والعلماء وتشجيعهم على البحث والتنافس العلمي وجذب العلماء إلى حضرتهم .

وهذا يبرز اهتمام العلماء والفقهاء بفن المناظرات الذي اتخذوه وسيلة لمعالجة قضايا المجتمع وفق الشريعة ،كما تبين المستوى العلمي العميق لفقهاء المغرب الأوسط ونشاطهم الذهني واحترامهم للطرف الآخر حتّى من غير المسلمين والإستماع إليهم واحترام رأيه والتحاور بأدب .

وبما أنّ الأدباء أبدوا اهتمامهم بهذا الفن ؛فلابدّ أن يمتاز بجماليات خصّت هذا العصر ،فما هي جماليات النثر في العهد الزياني ؟

المبحث الثاني :جماليات النثر في العهد الزياني :

وبما أنّ فن التّرسل لقى اهتماما كبيرا من قِبل الأدباء الزيانيين ،فقد نال أسلوب صياغة الرسائل عندهم درجة عالية من التطوّر ،إذ شاع في عهد بني زيان أسلوب السجع والمحسنات البديعية بتألّق كبير وأسلوبهم تميّز بالقوّة والجزالة واللغة السليمة .وذلك يظهر جليا من خلال المراسلات والخطب التي تمكن الدارسون من الوصول إليها .واعتمدت في دراستي هذه على نماذج نثرية من العهد الزياني لبعض الأدباء البارزين منهم لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) وابن خميس (ت708هـ) وعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) .

ومن ذلك نثر لسان الدين بن الخطيب وهو يصف تلمسان وأهلها ؛يقول :(تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ،ووضعت في موضع شريف ،كأنها ملك علما رأسه تاجه ،وحواليه من

الدوحات حشمه وأعلاجه ،عبادها* يدها ،وكهفها كفها ،وزنتها زيانا* ،وعينها أعيانها ،هواها المقصور بها فريد ،وهواؤها الممدود صحيح عتيد ،وماؤها برود صريد ،حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب ،فلا نحول فيها ولا شحوب ،خزانة زرع ،ومسرح ضرع ،فواكهها عديدة الأنواع ،ومتاجرها فريدة الانتفاع، وبرانسها رقاق رفاع ،إلا أنها بسبب حب الملوك ،مطمعة للملوك ،ومن أجل جمعها الصيد في جوف الفرا* ،مغلوبة للأمرا ،أهلها ليست عندهم الراحة ،إلا فيما قبضت عليه الراحة ،ولا فلاحة إلا لمن أقام رسم الفلاحة ،ليس بها لسع العقارب إلا فيما بين الأقارب ،ولا شطارة إلا فيمن ارتكب الخطارة).[1]

هذا نص نثري يمثل وصف شامل لمدينة تلمسان وأهلها ،فلسان الدين يصف طبيعة تلمسان بقوله :(تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف) كما يصف موقعها الجغرافي الذي قال عنه أنّه (موقع شريف)وشبّهها وهي في هذا الموقع بالملك الذي على رأسه تاجه وما يحيط به كله حشمه من الدوحات وقرية العبّاد والمغارة وغير ذلك فهو يشير إلى أنّها مدينة أثرية وذلك في ؛قوله :(كأنّها ملك على رأسه تاجه ،وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه ،عبّادها يدها ،وكهفها كفّها ،وزِنتها زيانها ، وعينها أعيانها) وبهذا التشبيه أعطى لسان الدين تلمسان صورة الملك بيديه وكفّيه وعيونه .استعمل ابن الخطيب مفردات سهلة واضحة ومفهومة وجمل بسيطة والتي كانت حروف الربط واضحة الاستعمال فيها ،فحرف "الواو" واضح الإستعمال في الجمل تقريبا وحروف الجر كذلك مثل (في ، الكاف ،على ،من ،عن) .

ولم يهمل ابن الخطيب الناحية الجمالية للنّص فقد أدخل أفعال الماضي مثل (جمعت ،وضعت ، قبضت ...) وأسماء الأماكن (تلمسان ،الصحراء ،الريف ،الدوحات ،قرية العبّاد ،مغارة بني عاد "عين

---

* – اسم القرية المدفون فيها الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن .

* – الملوك من آل بني زيان .

* – مثل يضرب لمن له حاجات كثيرة منها واحدة عظيمة فتقضى فيقول ذلك أويقال له ذلك .

[1]–نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج :4 –ص :268 .

فزة") وهذه الأماكن وإن لم يفصح عنها بصريح العبارة فقد أشار إليها كما في قوله :(عبّادها ، كهفها) فقد اعتمد في ذلك على الإيجاز في العبارة ليزيد من جماليات النص مثل قوله :(عبّادها بدل القول قرية العبّاد وزيّانها بدل القول الزيانيين) .كما اعتنى بالموسيقى الداخلية للنص ،فلسان الدين كان كغيره من معاصريه يميل إلى استعمال المحسنات البديعية من طباق وجناس وسجع ،ومن ذلك اعتماده السجع :

السجع المتوازي في قوله :(تاجه–حشمه) ،(يدها –كفها) ،(عتيد–صريد) ،(زرع–ضرع) والسجع المرصع ويظهر في :(عبّادها يدها –كهفها كفّها ،زينتها زيانها –عينها أعيانها) وكذلك الجناس الذي يظهر في عبارة (أهلها ليست عندهم الراحة ،إلاّ فيما قبضت عليه الراحة) فالراحة الأولى يقصد بها الإرتياح أمّا الثانية فيقصد بها بطن اليد ،وهو جناس تام ،و(ولا فَلاحة إلاّ لمن قام رسم الفلاحة) فالأولى يقصد بها الفوز تعني القيام بشؤون الأرض ،وفي العبارة التالية (ليس بها لسع العقارب إلاّ فيما بين الأقارب) كذلك جناس لكن ناقص حيث هناك اختلاف في حرف "العين" و"الألف" ،وفي عبارة (هواها المقصور بها فريد ،...وماؤها برود صريد) جناس ناقص لاختلاف الحرف الأوّل .والطباق من المحسنات البديعية التي اهتم ابن الخطيب بها وزين به نصوصه ،من ذلك (الصحراء–الريف) .

من الواضح أنّ لسان الدين بن الخطيب كان شديد التأثر بطريقة القاضي الفاضل (ت596هـ) في نثره وبمذهب التصنع القائم على التكلف في التعبير والمبالغة ،فابن الخطيب يكثر من استعمال المحسنات البديعية .

ومن النماذج النثرية أيضا التي تبرز جماليات النثر في عهد الزيانيين ؛رسالة ابن خميس (ت708هـ) التي هاجم فيها فقهاء عصره ولاسيما فقهاء فاس ،من فقراتها ؛يقول :

حليفة آلام وأوصاب ، وأليفة أشجان وأطراب ،صُبابة أغراب وصُيابة أعراب ...خذ في الجدّ فما يليق بك الهزل .رق عن ذلك فحك لنا منه أَرَقَّ غَزَل ،ماذا أقول ،وأي عقل يطاوعني عن هذا المعقول ...ما حيلتي في طبع بلدكم الجاسي .أما يَلين لضعفي أما يرقّقلب زمانكم القاسي ...إن مرّ بكم الولي حمّقتموه ،وإن زَجركم العالم فجَرتم عليه ففسّقتموه ،وإذا نجم فيكم الحكيم غُصصتم به ، فكفّرتموه وزندقتموه ،... ضيعتم النص (السنن) والشرائع ،وأظهرتم في بِدعكم العجائب والبدائع ...استصغرتم الكبائر ،وأبحتم الصّغائر ،...مات العلم بموت العلماء ،وحكم الجهل بقطع دابر الحكماء ،جرّد(جدّد) لنا شريعتك يا أفضل الشّارعين ،أَتِمَّ(قم) فينا موعظتك يا أفصح التابعين ،لا والله ما يوقظكم من هو الوَسَن ،وعظ الحسن ،ولا ينقذكم من فِتن هذا الزمن ،إلاّ سيف مُعلّمه أبي الحسن والسلام)[1] .

أوّل ما يلفت النظر في هذه الفقرات كثرة المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق ،فابن خميس استعمل السجع بكثرة في فقراته إذ يدرج "السجع المرصع"في البداية في قوله :(هذه أمتع الله ببقائك ، وأسعد بلقائك ،وأراها بما تؤمل من شريف اعتنائك ،وترجوه من جميل احتفائك ،على أنّها حليفة ألام وأوصاب ،وأليفة أشجان وأطراب) والملاحظ هنا أنّ الفقرات المسجوعة جاءت متوازية الوزن والتقفية .كما استعمل "السجع المتوازي" في قوله :(بنت الأذواء والأقبال ،ومقصورة الأسِرة والحجال ...استصغرتم الكبائر ،وأبحثم الصّغائر ،مات العلم وحكم الجهل) .وابن خميس لم يكتف بالسجع فقط بل تنوّع في استعمال المحسنات اللفظية الأخرى ؛كالجناس الذي اعتمده في مواضع مختلفة نذكر منها :(حليفه-أليفه ،أوصاب-أطراب ،أغراب-أعراب ،صُبابة-صُيابة) ونوعها "جناس ناقص" لاختلاف الكلمتين في حرف واحد ،كما استعمل أنواع أخرى من الجناس مثل :(العقل والمعقول ، شريعتك والشارعين ،العلم والعلماء ،حكم والحكماء) وهي "جناس مشتق" .ومن تلك

---

[1]- الإحاطة في أخبار غرناطة –لسان الدين بن الخطيب ،ذي الوزارتين .ت :محمد عبد الله عنان .مج :2 ،ط :1 ،مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع ، 1394هـ ،561-562 .

المحسنات البديعية كذلك أيضا "الطباق" ،فمن الملاحظ أنّ ابن خميس استخدم في بعض المواقف الطباق لما يقدمه من توضيح للمعاني والأفكار ،من ذلك :(الجدّ-الهزل ،يلين-القاسي ، الكبائر-الصّغائر ،الأموات-الأحياء ،العلم-الجهل) ثم ينتقل من الطباق إلى "المقابلة" ومن ذلك ما يظهر في الفقرات التالية:(ضيعتم النص والشرائع وأظهرتم في بدعكم العجائب والبدائع ...استصغرتم الكبائر ، وأبحتم الصغائر) كذلك في الفقر التي تليه :(مات العلم بموت العلماء ،وحكم الجهل يقطع دابر الحكماء) .

وأكثر ابن خميس من التعابير الدينية حيث نجده يكثر من استخدام الألفاظ الدينية ومنها : (كفّرتموه ،زندقتموة ،ضيعتم النص والشرائع ،استصغرتم الكبائر ،وأبحتم الصغائر) إضافة إلى الدعاء (أمتع الله ببقائك وأسعد بلقائك ...) .

من الواضح أنّ ابن خميس هو الآخر كان شديد الإعجاب بأدباء المغرب وكتّابه ومتأثّر بمذهبهم حيث اهتم بتزيين الألفاظ وتنميقها ،فهو في أسلوبه اعتمد الألوان البديعية من جناس وسجع وطباق ويكثر منها .

ومن تلك النماذج النثرية أيضا ؛الخطبة التي ألقاها عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ) يوم عين لتدريس المالكية في مدرسة الظاهرية * ،وهي خطبة ألقاها مفتتح التدريس بها على عادتهم ؛نصها : (الحمد لله الذي مَنَّ على عباده ،بنعمة خَلقه إيجاده ،وصرّفَهم في أطوار استعباده بين قَدَره ومُراده ، وعرّفهم أسرار توحيده ،في مظاهر وجوده ،وآثار لطفه في وقائع عباده ...

* – المدرسة الظاهرية أو المدرسة البرقوقية التي أقامها السلطان الظاهر برقوق بين القصرين في القاهرة وقد اكتمل عملها في أوائل شهر جمادى الأولى سنة 788هـ.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر من نسل آدم وأولاده ،لابل سيد الثقلين* في العالم من إنسه وجنه وأرواحه واجساده ،لا بل سيد الملائكة والنبيئين ...

والرضى عن آله وأصحابه ،غيوث رحمته ....وعن الأئمة الأربعة ،وعلماء السنة المتبعة ،... وعن إمامنا من بينهم الذي حمل الشريعة وبينها ...عالِم المدينة وإمام هذه الأمّة الأمنية ،...الإمام مالك ين أنس .

وإنّ مولانا السلطان الملك الظاهر ،العزيز القاهر ،العادل الطّاهر ،القائم بأمور الإسلام عندما أعيا حَمَلُها الأكتاد ،...وسارع إلى فعل الخيرات بنفس مطمئنّة ،لا يسأل عليها أجرا ولا يكدّرها بالمنّة،وأحسن رعاية الدين والمِلك تشهد بها الإنس والجِنّة ،لا ؛بل النَّسَم والأجِنَّة ...والكل في نظر مولانا السلطان وتصرفِه ،والأهلة بتأهيله والمعرفة بتعريفه ،وقوام الحياة والأمال بلطائف إحسانه وصنوفه ،والله يوزعنا شكر معروفه ،ويوفقنا للوفاء بشرطه في هذا الوقف وتكليفه ،ويَحمِي حِماه من غير الدّهر وصُروفِه ،ويُفيء على ممالك الإسلام ظِلال أعلامه ورِماحه وسيوفه ،ويُريه قُرَّة العين في نفسه وبَنيه ، وحاشيَّته وذويه ،وخاصّته ولفيفِه ،بمَنِّ الله وفضله)[1]

تناولت الخطبة مدح سلطان مصر الظاهر برقوق* وشكره على تعيينه مدرسا،ألقى ابن خلدون خطبته على الطلبة والمستمعين لذلك استعمل ضمير المخاطبة "أنتم" ،ولغته امتازت بالفصاحة ؛فهو يعتمد كلام فصيح واضح يخلو من الغموض والغرابة ليسهل على العامة والخاصة من الناس فهمه .

---

* – لسان العرب –ج :3 .ص : 121 ،الثقلين :الجن والإنس ،حرف اللام ،فصل الثاء .

[1]– التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا –ص :313-322 .

* – الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق السلطان الخامس والعشرون من سلاطين المماليك في ديار مصر والشام توفي 801هـ .

افتتح عبد الرحمن بن خلدون خطبته بالحمدلة والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام واعتمد في ذلك مفردات دينية مثل :(الحمد لله ،الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد) ثمّ انتقل إلى مدح السلطان وذكر محاسنة وخِصاله الحميدة وبين هذه الجمل استعمل حروف العطف والجر للربط بينها .كما ضمن ابن خلدون خطبته بأسماء أشخاص (النبي محمد عليه الصلاة والسلام ،الإمام مالك بن أنس ،الملك الظاهر برقوق) .

ومن الناحية الداخلية ؛فابن خلدون اعتنى بالألفاظ وتزيينها واستعمل المحسنات البديعية بأنواعها ،منها على سبيل المثال :"السحع المرصع" ويظهر في العبارات التالية (الملك الظاهر –العزيز القاهر –العادل الطاهر) و"السجع المتوازي" واستعماله كان واضحا في المفردات التالية (الظاهر – الطاهر ،الحياة –الأمال ،نفسه –بَنِيه) كما استعمل "الجناس المشتق" من ذلك (عباده واستعبادها ، الأهلية وبتأهيله ،المعرفة وبتعريفه) .ومن تلك المحسنات أيضا التي اعتمدها ابن خلدون في خطبته ؛ "الطباق" وكان استعماله في المواضع التالية (لصلاحه أوفساده ،هدايته أوإضلاله ،غيِّه أو رشاده ، إنسه وجِنِّه ،أرواحه وأجساده)

استعمل عبد الرحمن بن خلدون مفردات وتراكيب سليمة وأسلوبه كان سهلا وواضحا والمتعارف عن ابن خلدون أنّه لا يميل للمحسنات البديعية وما كان عند أدباء عصره من سجع وجناس وطباق ،إلاّ أنّه لم يخرج عن ذلك واستعملها في بعض من نثره وفي هذه الخطبة اعتمد البعض من هذه المحسنات لما كان يقتضيه الحال في عصره ؛فهذه المحسنات البديعية تعد من وسائل إظهار البراعة والتمكن من اللغة والقدرة على استخدام الألفاظ وهذا ما دفع به إلى مجارات عصره في ذلك.

الخاتمة

واستنتاجا مما سبق ؛فإنّ الدول الزيانية لم تترك مجالا إلاّ واهتمت به وخاصة المجال العلمي ، فأنشأ حكّامها المدارس والمساجد للتعليم وأحضروا كبار العلماء للتدريس بها وأسسوا المكتبات وزودوها بالكتب وسخروها لطلبة العلم .وهذا الاهتمام راجع لكون معظم الحكام الزيانيين أدباء وكتّاب ساهموا بطريقة أو بأخرى في تطوير الناحية الأدبية للبلاد ،كما ساهم في هذه النهضة وتطويرها وبقسط وافر الأندلسيين الذين هاجروا إلى المغرب الأوسط قاصدين البَلاط الزياني الذي أصبح يزخر بالأدباء والعلماء الذين كانوا يعقدون المناظرات العلمية بينهم .كان الإنتاج الأدبي في هذا العهد من أوفر الإنتاجات وأخصبها ،فازدهر النثر خاصة وشاعت منه الرسائل وتنوعت بين أغراضها المختلفة من وصف وتهنئة وعُتاب وشوق وغير ذلك والتي امتاز أسلوبها بكثرة المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق وإطالة الفقرات وهو أسلوب شاع بين أدباء المشرق والمغرب حتى صار السجع في هذه الرسائل الأدبية حلية مرغوب فيها وطغى كذلك على المؤلفات الأدبية الأخرى كالمؤلفات الأدبية والرحلات وكتب التاريخ ،وبرز في هذا الفن العديد من الكتّاب أمثال أبو بكر محمد بن خطّاب المرسي (ت686هـ) ومحمد بن محمد العبدري (ت720هـ) وابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) ،كما اعتنوا بحفظ القرآن الكريم تأليف الكتب في تفسيره .

فكانت تلمسان بذلك مقصدا للطلبة بحثا عن العلم والدراسة من المغرب والمشرق والأندلس ، فالدولة الزيانية كتبت للمغرب الأوسط تاريخا حافلا وجعلت منه بلد الازدهار والرقي والحضارة والذي ترك بصمته الخاصة عبر العصور .

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

1-أبو حمّو موسى الزياني حياته وآثاره –عبد الحميد حاجيات .ط :2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مركب الطباعة ،الجزائر ،1983م .

2-الإحاطة في أخبار غرناطة –لسان الدين بن الخطيب ،ذي الوزارتين .ت :محمد عبد الله عنان .ط :1 ،مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع ، 1394هـ

3-أدب الرسائل في المغرب العربي –طاهر توات .ديوان المطبوعات الجامعية ،1993م .

4-ابن خميس شعره ونثره –طاهر توات .ط/2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ،بن عكنون ،الجزائر ،2012م .

5-إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر –محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان .دار البصائر االنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م .

6-باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان –الحاج محمد بن رمضان شاوش .ديوان المطبوعات الجامعية .

7-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان –أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف التلمساني .المطبعة الثعالبية ،1226هـ .

8-بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد –يحي بن خلدون .بيرفونطانا للنشر والتوزيع،الجزائر ،1323هـ .

9-تاريخ الجزائر العام –عبد الرحمن بن محمد الجيلالي .الجزء الثاني ،ط :2 ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1968م .

10- تاريخ الأدب الجزائري –محمد طمّار .دار الثقافة ،الجزائر ،2004م .

11- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان– محمد بن عبد الله التنسي.ت :محمود آغا بوعيلد .موفم لنشر،الجزائر ،2011م .

12- تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ،عمرانية ،اجتماعية ،ثقافية) –عبد العزيز فيلالي .موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2002م .

13- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا –عبد الرحمن بن خلدون .منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ،1979م .

14- الدرر المكنون في نوازل مازونة –أبو زكرياء يحي المغيلي المازوني .ت :حساني مختار. نشر مخبر المخطوطات ،جامعة الجزائر ،2004م .

15- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة –أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني .ت :الدكتور إحسان عباس .دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1417هـ .

16- الرحلة المغربية –محمد العبدري البلنسي .ت :الأستاذ الدكتور سعيد بوفلاقة ،ط/1 مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ،الجزائر ،1428هـ .

17- رحلة القلصادي –أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي .ت :محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ،تونس ،1978م .

18- الفن ومذاهبه في النثر العربي –أحمد عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف ، ط/9،دار المعارف ،1980م .

19- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج –أحمد بابا التنبكتي .ت :الأستاذ محمد مطيع .وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1421هـ .

20- لسان العرب –أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور .ط/1 ،دار صادر للإنتاج ،1410هـ .

21- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب –أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي .نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، الرباط ،1401هـ .

22- المقدمة –عبد الرحمن بن خلدون .منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، 1968م .

23- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن –محمد ابن مرزوق التلمساني .ت :الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا .تقديم :محمود بوعيّاد .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981م .

24- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب –أحمد بن محمد المقرّي التلمساني .ت : إحسان عباس .دار صادر ،بيروت ،1388هـ .

25- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج –أحمد بابا التنبكتي .ت :الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرّامة .ط/2 ،دار الكاتب ،طرابلس ،2000م .

26- واسطة السلوك في سياسة الملوك –موسى بن يوسف أبو حمّو موسى الزياني العبد الوادي التلمساني .مطبعة الدولة التونسية ،1862م .

فهرست الموضوعات

الموضوعات الصفحة

البسملة

الشكر والتقدير

الإهداء

المختصرات

المقدمة .....أ

المدخل :النثر قبل العهد الزياني 1

الفصل الأول :النثر في العهد الزياني وأعلامه 7

المبحث الأول :البيئة الأدبية في العهد الزياني 9

المبحث الثاني :أعلام النثر في العهد الزياني 16

الفصل الثاني :أغراض النثر وجمالياته في العهد الزياني 34

المبحث الأول :أغراض النثر في العهد الزياني 35

المبحث الثاني :جماليات النثر في العهد الزياني 60

الخاتمة 67

فهرست المصادر والمراجع 69

فهرست الموضوعات 73

ملخص :تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جانب من جوانب الحياة الأدبية في العهد الزياني ؛ألا وهو جانب النثر وتبيان أصوله وأغراضه والإشارة إلى البعض من أشهر أعلامه ،والوقوفعند بعض من النماذج النثرية لهذا العصر لتحليلها وإبراز أسلوبها وأهم خصائصها.

الكلمات المفتاحية :النثر –العهد الزياني –الأصول –الأغراض .

Résumé : Cette étude est conçue pour identifier le coté de prose de la vie littéraire de l'époque Zianides et identifier ses origines et ses objectifs et mentionné quelques célèbres écrivains et prendre en compte certains modèles de prose pour ce siècle ; les analysés et mis en évidence leurs styles et leurs caractéristique les plus importants.

Mots-clés : Prose – époque Zianides – les origins – les objectifs.

Abstract: The objective of this study is to clarify apart of the different parts of literature during the Zianides period wish is prose with its assets and purposes and also some of the famous writers. We have analyzed some samples of prose in that period by showing the style and the main characteristics.

Key word: Prose–the Zianides period–assets–purposes.